المقاربة التداولية وحضورها في البلاغة العربية كتاب (تأويل مشكل القرآن) أنموذجا

الدكتور

عبد الرحمن حميدي المالكي

أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم اللغة العربية

كلية الآداب- جامعة الطائف

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقاربة التداولية و حضورها في البلاغة العربية كتاب "تأويل مشكل القرآن" أنموذجا

عبد الرحمن حميدي المالكي

أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب- جامعة الطائف - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: dr.abdelrahman@yahoo.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى المقاربة التداولية لمدونة بلاغية متمثلة في كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة(ت ٢٧٦هـ)، هذه المقاربة القائمة على دراسة جوانب التلاقي والتأثير والتأثر بين التداولية والبلاغة العربية، خاصة في اعتنائهما (بالمتكلم) و(المتلقي) و(الرسالة)، وذلك بالقيام بأداء الكلام وإنتاج الخطاب. كذلك فإن الاهتمام بالمقاربة بين التداولية والبلاغة العربية يدل على حضور الدرس البلاغي في النظريات الحديثة، فكل أساليبه وصوره ذات تفاعل وحضور فعّال في الدرس الحديث؛ لذلك قامت المباحث المتوالية لهذا البحث على دراسة ما يأتي:

١) تعريف التداولية لغة واصلاحًا.
٢) التعريف بالمدونة ومؤلفهـــا.
٣) علاقة البلاغة بالتداوليـــــة.
٤) حضور البحث التداولي في كتاب (تأويل مشكل القرآن).
٥) علم البيان والتداوليـــة.
٦) علم المعاني والتداوليـــة.

الكلمات المفتاحية : البلاغة؛ البيان؛ التداولية؛ القرآن؛ المعاني.

The deliberative approach and its presence in Arabic rhetoric, "Interpretation of the Problem of the Qur'an" as an example

Abdul Rahman Hamidi al-Maliki
Department of Arabic Language - College of Arts - Taif University - Kingdom of Saudi Arabia
Email: dr.abdelrahman@yahoo.com

Abstract

This study aims toapply pragmatic approach in a rhetorical blog; it is the book of (Interpretation of the Problem of Qur'an) by Ibn Qutayba. This approach based on a study of the aspects of convergence ،influence and influence between deliberative and Arabic rhetoric ،especially in their care for (the speaker) and (the recipient) and (the message) ،during the course Do the speech and produce the speech. The interest in the approach between deliberative and Arabic rhetoric indicates the attendance of the rhetorical lesson in modern theories ،as all of its methods and images are interacting and active presence in the modern lesson; Therefore ،the researcher on this research conducted a study as follows:

1) **Definition of Pragmatics.**
2) **Introducing to the book and its author.**
3) **The relationship between Rhetoric and Pragmatics.**
4) **Pragmatic research in the book (Interpretation of the Problem of Qur'an).**
5) **Statement and Pragmatics.**
6) **Semantics and Pragmatics.**

Keywords : rhetoric; Statement; Pragmatics; Quran; Semantics.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

جاء البحث متناولاً مقاربة تداولية للبلاغة العربية لكونه موضوعاً جديراً بالاهتمام، ويحاول رصد عناصر التلاقي بين التداولية ومباحث البلاغة العربية، وذلك من خلال كتاب ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن)؛ لما في هذه المدونة من قضايا بلاغية قائمة على الأسس التداولية في العناية ببنية الكلام، وصياغته وإنتاج الدلالة وتوجيه المعنى، وما يتضمنه من وظائف إبلاغيه تواصلية. إن هذه العودة إلى قراءة التراث البلاغي العربي بطريقة فاحصة ومتأنية تؤكد أن تلك القواعد التي بُنيت عليها التداولية متأصلة في التراث البلاغي، فعلماء العرب في حديثهم عن البلاغة وأسسها، ومباحثها وارتباطها بسياق الكلام وبنائه، وما يطلبه الدرس اللغوي المعاصر من نظريات ومبادئ وطرائق، موجودة في تراثنا البلاغي، لكنها كانت عبارة عن آراء متناثرة في الكتب البلاغية العربية القديمة. لذلك جاء البحث الموسوم بـ (المقاربة التداولية وحضورها في البلاغة العربية، كتاب تأويل مشكل القرآن أنموذجاً) يحاول أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما علاقة البلاغة العربية بالتداولية؟
- ما مدى حضور أبعاد النظرية التداولية في التراث البلاغي، وإلى أي حد أدرك البلاغيون العرب ذلك الحضور؟
- كيف تجلت أبعاد المقام والحال في المباحث البلاغية لكتاب تأويل مشكل القرآن؟
- ما أهم أسس التداولية البارزة في كتاب ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن)؟

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إن هذه الأسئلة هي ما يسعى إليه هذا البحث؛ لتحقيقه معتمداً على منهج تحليلي تفسيري تأويلي، وذلك في محاولة لمعرفة جوانب اشتغال التداولية وقدرتها في الدرس البلاغي في هذه المدونة مع استحضار الشواهد التي ساقها ابن قتيبة؛ للاستفادة منها في توضيح الآفاق التداولية ومناقشتها، وللإجابة عن هذه الأسئلة جميعاً اتخذ البحث الصورة التنظيمية الآتية:

- **المبحث الأول**: **التداولية لغة واصطلاحاً**.
- **المبحث الثاني**: **التعريف بالمؤلف والمدونة**.
- **المبحث الثالث**: **البلاغة والتداولية**.
- **المبحث الرابع**: **التداولية في كتاب "تأويل مشكل القرآن"**.
- **المبحث الخامس**: **علم البيان والتداولية**.
- **المبحث السادس**: **علم المعاني والتداولية**.

المبحث الأول: التداولية لغة و اصطلاحاً

(١) لغة:

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دول) وله معانٍ مختلفة ومتعددة، لكنها لا تتعدى معاني (التحول)، ومعاني (التّبـدل)، يقول ابن فارس: "الدال والواو واللام أصلان، أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان والآخر يدل على الضعف والاسترخاء. فأما الأول فقال أهل اللغة: إبدال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم، والدولة والدَّولة لغتان، ويقال: بل الدولة في المال، والدَّولة في الحرب، وإنما سمي بذلك؛ لقياس الباب؛ لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا"(١).

وأورد صاحب أساس البلاغة إشارة لغوية لذلك بقوله: "دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بنى فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه...وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد...والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم..."وتداولوا الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما"(٢). أما صاحب اللسان فيؤكد ذلك بأن مدار كلمة (دول) هو (التبدل) و(التحول) بقوله: "تداولنا الأمر أخذناه بالدول، وقالوا: دواليك: أي مداولة على

(١) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، ج٢، ص٣١٤.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتاب العالمة ، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٠٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأمر...ودالت الأيام: أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاوناه، فعمل هذا مرة وهذا مرة"(١).

والظاهر فيما أرته المعاجم العربية على اختلاف مناهجها الاتفاق حول دلالات تكاد تكون محل اتفاق لجذر كلمة (دول)، نحو "التحول والتبدل والانتقال سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى حال أخرى، مما يقتضى وجود أكثر من طرف بفعل التحول والتغيير والتبدل"، وتلك حال اللغة متحولة من حال إلى حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها، ولذلك كان مصطلح التداولية أكثر ثبوتاً بهذه الدلالة من المصلحات الأخرى الذرائعية والنفعية والسياقية(٢).

و هو ما تنعكس على الجانب الاصطلاحي حيث أدى الميل إلى ثبوت جذر (دول) في المعجم العربي إلى استخدامها مقابلاً للمجال التداولي عند بعض الباحثين العرب لترجمة المصطلح ***PRABATIQUE***، يقول في ذلك طه عبد الرحمن: "تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم، ومن المعروف أيضاً أن مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة، كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيُقال: (نقل الكلام عن قائليه) رواه عنهم، ويُقال: دار على الألسن بمعنى جرى عليها ... فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل، وفي

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ، لبنان ، مجلد١١، ط٣، ١٩٩٤م، ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة العلمية، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٤٨.

استخدامهما التجريبي على معاني الحركة بين الفاعلين ... فيكون التداول جامعاً بين اثنين هما: التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولاً بالفعل"[١].

(٢) اصطلاحاً:

التداولية هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي ***Pragmatics***، ويعود الفضل في استخدام هذا المصطلح "التداولية" في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلزساندرس بيرس" (١٨٣٩-١٩١٤)، بينما يرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف "تشارلز موريس" وذلك سنة ١٩٣٨[٢]، مقدماً تعريفاً لها بقوله: "التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات[٣].

حدد موريس علم العلامات حسب رأيه في معالجته للغة إلى ثلاثة أنواع، وهي:

١- التراكيب: وهو دراسة العلاقات الشكلية بين العلامات.

٢- الدلالة: وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات.

٣- التداولية: وهي دراسة علاقة العلامات بمستعمليها ومؤوليها[٤].

---

(١) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط٢، ص٢٤٤.

(٢) الزواوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس٢٠٠٧م، العدد٣، المجلد٣٥، ص١٩٩.

(٣) فرانسوازأرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م، ص١٢.

(٤) محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية ناشرون، د.ط ، ص٤٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبهذا يكون "تشارلز موريس" ميز بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي علم التراكيب وعلم الدلالة والتداولية التي تعني بالعلاقة بين العلامات ومستخدميها(١). فالتداولية أصبحت علماً، يعتدّ به في الدراسات اللغوية الحديثة في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن طوّرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد، هم أوستن وسيرل وجرايس، وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية ***Natural language*** أو العادية ***Ordinary*** في مقابل مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية ***Formal language*** التي يمثلها كارناب، وكانوا جميعاً مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها(٢).

وتتعدد مفاهيم التداولية وفق تعدد مجال اهتمام الباحث، فمنهم من يعرفها بأنها "مجموعة من البحوث المنطقية واللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستخدام اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المصدرية المقامية والحديثة والبشرية"(٣). وكذلك هي "حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق، وإذا كان التركيب يبحث العلاقة بين الدوال فيما بينهما، والدلالة تبحث العلاقة بين الدوال ومرجعها فإن التداوليات تبحث العلاقة بين

(١) آن روبول جاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ترجمة سيف الدين ذغفور، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، ط٣، ص٢٩.

(٢) محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠٠٢، ص٩.

(٣) طه عبد الرحمن ، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٢م، ص٢.

الدوال ومستعمليها"[١].ومنهم من يعرف التداولية من جهة المتكلم "بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند نتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية"[٢]. إذن هي "علم الاستعمال اللساني في السياق، أو بمعنى أشمل علم استعمال العلامات في السياق"[٣].

وبخصوص ظهور التداولية بصفتها علما مستقلا يقول إلوارد في ذلك: "إن التداولية لم تكن كعلم خلف علم اللسان، بل في الواقع إن للبراغماتية العمر نفسه لعلم اللسان إلا أنها أخرجت من نطاق الدراسة بحجة إلغاء كل الدراسات التي تخرج البحث عن مضمار دراسة اللغة باللغة دون استعمال الواقع ولا الأفكار الفلسفية"[٤].

ونلحظ اهتمام التداولية بالخطاب من خلال فاعليتها في عملية التواصل والإبلاغ. يقول أحمد متوكل: إن التداولية تهتم بالجانب التخاطبي، وتقوم عليه فموضوعها عبارة عن "إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية، وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف"[٥]. فالتداولية تهتم بتعميق القدرة التعبيرية عن المعنى وقدرتها على الفهم والافهام مع

(١) إدريس مقبول، الأفق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية، عالم الكتب الحديث، ٢٠١١، ص ٣٤.

(٢) فرانسواز آرمنيكو، المقاربة التداولية، ص٢٢.

(٣) صابر الحباشة ، مدخل إلي الأبعاد التداولية في قراءة الشروح البلاغية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج٢٥، ع١٠٠، ٢٠٠٧م، ص١٨١.

(٤) الطاهر لوصيف "مقال عن التداولية اللسانية"، مجلة اللغة والأدب، ملتقي علم النص،ع ١٧، ٢٠٠٦، جامعة الجزائر، ص٦-٧.

(٥) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثل الدلالي التداولي، الأمان، الرباط، المغرب، ١٩٩٥م ، د.ط، ص١٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مراعاة حال المتلقين ووضعياتهم ومستواهم؛ لأن التداولية "تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"(١)، وباختصار يعرفها بأنها "هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية"(٢).

وفي هذا الصدد يرى طه عبد الرحمن "أن الفعل تداول في قولنا: (كذا بينهم) يفيد معنى (تناقله الناس وأداروه بينهم)"(٣)، ويعرفها مسعود صحراوي بقوله: "التداوليات نظرية استعمالية، حيث تدرس اللغة في استعمال الناطقين لها، و(تخاطبية) تعالج شرط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء هذا الاستعمال للغة"(٤).يقول أيضاً: إنها "نسق معرفي استدلالي عام، يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية"(٥).

ويعرف ***(F . Licanti)*** ليكانتى و***(A . M . Diller)*** التداولية بقولهما: "إن التداولية تدرس استعمال اللغة من خلال عملية الكلام والسمات المميزة التي يتميز بها النظام اللغوي التي تظهر قدرتها (أهميتها) الحديثة"(٦)؛ لذلك

---

(١) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٩.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١٢٠.

(٣) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٤٤.

(٤) طه عبد الرحمن، اللسانيات والمنطق والفلسفة، مجلة دراسات سيميائية، ع٢، ١٩٨٨م، ص١٢١

(٥) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط١، دار التنوير، ص٢٥.

(٦) الطاهر لوصيف مقال عن التداولية اللسانية ،مجلة اللغة والأدب، ملتقي النص، ص٧-٨.

هي تهتم "بدراسة اللغة في الاستعمال ***in use***، أو في التواصل ***in interaction***"(١)، على أساس أنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول ***negociation*** اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما"(٢).

فـ (التداولية) عبارة عن "دراسة اللغة في الاستعمال أو بعبارة أخرى هي دراسة الاتصال اللغوي في السياق مما يسمح بدراسة أثر هذا السياق في بنية الخطاب ومرجع رموزه اللغوية ومعناه، كما يقصد المرسل"(٣)، فالتداولية تقدم نفسها "لا بوصفها نظاماً أو بنية، بل على نحو ما تستعمل في المواقف الاتصالية المختلفة (واقعية أو متخيلة) أي بوصفها نسقا رمزياً يستخدم من أجل التواصل"(٤). و بذلك تصبح "اللغة منظوراً إليها خلال الاستعمال، أو الأداء أو الكلام متجلية في جملة أو قول، أو نص أو خطاب أو محادثة ... إلخ، هي موضوع التداولية الذى أعلنت من خلاله مفارقتها للسانيات الصورية أو الشكلية (البنيوية، النحو التوليدي) التي تبنت قراراً إبيستمولوجيا بإقصاء الكلام عن حقل الدراسة اللسانية لكونه ظاهرة فردية غير منضبطة واكتفت –في المقابل– بوصف البنية اللسانية ذاتها وتفسيرها بوصفها نسقاً من العلامات، أو سنناً تتألف من قواعد تركيبية وعلاقات

---

(١) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٤.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١٤.

(٣) عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٢٢.

(٤) شكري الطوانسي: (المقام في البلاغة العربية: دراسة تداولية) مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع١، مج٤٢، يونيو/سبتمبر٢٠١٣م، ص٦١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

دلالية بعيداً عن قصدية الذات المتكلمة، وعن آثار المقام والسياق انطلاقاً من مبدأ (المحايثة) أي عزل اللغة عن الفكر والواقع ودراستها في ذاتها ولذاتها"[١].

وبناء على ما تقدم تعددت مفاهيم التداولية بتعدد مجال اهتمام الدارس؛ لذلك من الصعب الوقوف على تعريف شامل ومحدد لمصطلح التداولية؛ نظرا لاختلاف خلفيتها الفكرية والفلسفية والثقافية؛ لذلك لُحظ كثرة التعاريف التي تتناول مصطلح التداولية، لكن عند النظر في تعريف التداولية للجذر (دول) في القاموس العربي نرى أن لها جذوراً تاريخية في مدوناتنا العربية، وهي بذلك ليست علماً حديثاً كما يدعي كثير من الفلاسفة والمحدثين الغربيين.

(١) شكري الطوانسي، المقام في البلاغة العربية: دراسة تداولية، ص٦٠.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف و المدونة:

(١) المؤلف:

ابن قتيبة هو أبو حمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري من أصل فارسي، تربى في بغداد، كان مولده فيها عام ٢١٣هـ "وقد نشأ بها، وتثقف على أهلها، وأخذ العلم من رجالها، وقد أقام بالدينور وعمل بها قاضياً، فنسب إليها، كان علماً بارزاً من أعلام الفكر والثقافة العربية، وكان إماماً في اللغة والأدب والأخبار، حاذقاً بمشكل القرآن ومعانيه، وغريب الحديث والشعر ومغازيه، ألف في فنون الأدب المعروفة، وكانت كتبه من أمهات الكتب المشهورة والمفيدة؛ فكان واسع الاطلاع غزير الثقافة متزن الفكر وذا ذهن ناقد.

أما مؤلفات ابن قتيبة ؛فهي كثيرة، منها "غريب القرآن، وغريب الحديث، وعيون الأخبار، وتأويل مشكل القرآن، ومشكل الحديث، وطبقات الشعراء، والخيل ... يقول عنه السيوطي: "كان رأساً في العربية واللغة والأخبار، وأيام الناس ثقة ديناً فاضلاً"(١)، ويقول عنه القفطي "هو صاحب التصانيف الحسان في فنون العلم"، إلى أن قال عنه: "وكان ثقة ديناً فاضلاً صادقاً فيما يروي، كثير التصنيف والتأليف"(٢).

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٤م ، ص٢٩١.

(٢) علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ١٤٣/٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد كان ابن قتيبة محباً للعلم، شغوفاً به منذ شبابه، يقول في ذلك: "قد كنت في عنفوان الشباب، وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب، وأن أضرب فيه سبهم"(١)، لذلك يعدّ أن قتيبة من أعمدة الأدب والمعرفة، فله مكانة بارزة بين كبار الأدباء ورجال النقد في عصره. لذلك وصفه الأستاذ أحمد أمين بقوله: "ثقافة ابن قتيبة واسعة كل السعة، ومظهر امتزاج الثقافات مختلفة بشقيها علمية، وشرعية، ودينية، وكونه فارسِ الأصل مظهر جلي واضح"(٢).

ويقول عنه الدكتور محمد بن مريسي الحارثي: "لقد برزت شخصية ابن قتيبة الناقد في مقدمة كتابه الشعر والشعراء التي أودع فيها آراءه النقدية التي جمعها من سابقيه إلى جانب بعض النظريات النقدية التي انفرد بها، ويصفه المستشرق (هوارت) وصفاً دقيقاً بقوله: "إنه موسوعة علمية"، ويقول عنه: "بروكلمان" "هو دائرة المعارف"(٣).

كل ذلك يدل على مكانة ابن قتيبة المعرفية وتنوع ثقافته، إذ جند نفسه للعلم، فكان بحراً فياضاً وصاحب سعة علمية غزيرة، حتى عدّه العلماء إماماً لمدرسة بغداد التي تنظم آراء المدرسة الكوفية والبصرية، وإماماً لأهل السنة، قال عنه الخطيب البغدادي: إن ابن قتيبة "كان ثقة ديناً فاضلاً"(٤).

---

(١) ابن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، تحقيق سليم عيد الهلالي ، دار ابن عفان، ص٧٤.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ٤٠٦/١.

(٣) محمد مريسي الحارثي، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الملك عبد العزيز بجدة،١٣٩٦ه، ص٤٤

(٤) أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، تاريخ بغداد، مصر ، ١٩٣١م ، ص١٧٠.

وقال عنه ابن النديم: "كان صادقاً فيما يرويه، عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه، والشعر والفقه"(١).

ويقول عنه ابن خلكان: "وكان فاضلاً ثقة"(٢)، لكن هناك من اتهمه في عقيدته محاولين التقليل من شأنه ورفعته، فقد ذكر عنه أنه "كان يرى رأي الكرامية.*"(٣)هذا ونجد ابن قتيبة يشارك في النزاع القائم بين السنة والمعتزلة في عصره، فابن قتيبة يعدّ إماماً لأهل السنة؛ لذلك أدلى بدلوه في قضية مشكلة خلق القرآن التي أطلقها المتكلمون، ودعمها المأمون، فنجده ينكر على علماء المسلمين تلك البدعة، حتى أنه ألف كتاباً للرد عليهم أسماه "الرد القاتل بخلق القرآن"، وشارك أيضاً في الرد على الشعوبية، ووقف ضدهم عندما استفحل أمرهم.

و توفي ابن قتيبة عام ٢٧٦هـ بعد تركه كثيرا من الأفكار التي تعنى بها اليوم المناهج اللسانية الحديثة: كالتداولية التي تعنى بدراسة اللغة حال الاستعمال، فكثير من مقولاته كافية لأن تمثل كثيراً من مباحث اللسانيات التداولية الحديثة التي نحاول من خلال هذه المقولات على الوقوف على بعض تجليات التداولية في كتابه (تأويل مشكل القرآن).

---

(١) محمد بن إسحاق بن يعقوب بن النديم، الفهرست، القاهرة ، ١٩٣١م ، ص١١٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٣١٤/١٠.

(٣) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، مصر، ١٩٣٢م ص٧٦.

(*) الكرامية: الفرقة الثانية عشرة من المرجئة: أصحاب محمد بن كرَّام، والكرامية جمعوا بين بدعة الإرجاء وإخراج العمل من الإيمان، وبين الشذوذ اللفظي في تسميتهم المنافق مؤمنا.، وهي إحدى فرق المشبهة والابتداع في الإسلام، ومن أقوالهم أنهم يزعمون أن الله تعالى جسم لا كالأجسام... راجع: الملل والنحل ١٠٨:١-١١٤، الفرق بين الفرق ٢٠٢-٢١٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(٢) المدونة (تأويل مشكل القرآن)

علينا بداية الأمر أن نعطي تعريفاً للمقصود بمصطلحات "التأويل" و"المشكل" الواردة في عنوان كتاب ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن الكريم).

أ –التَأوِيل: مصدر على وزن "(التفعيل)، والأصل اللغوي لهذه المادة (أوّلَ) يرجع إلى معنى الترجيع؛ لأن اشتقاقه من الأول: وهو الرجوع إلى الأصل، ومنه جاءت كلمة (المَوئِل) التي تقال للموضوع الذي يرجع إليه، (فالتأويل) بيان الشيء الذي يرجع إليه المعنى للآية ومقصودها"[١]، هذا هو المعنى اللغوي لهذه الكلمة، أما معناها الشرعي "فهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة"[٢].

ب–المُشْكِل: على وزن "(مُفْعِل)، مأخوذة من المادة اللغوية (ش، ك، ل) التي تعني في الأصل وضعها اللغوي الشبه والمثل"[٣]،" والتشابه بين الشيئين يقود إلى الالتباس أحياناً، ومن ذلك "قول العرب في الإبل والغنم (الأشكل): وهو الذي تختلط فيه الحمرة ببياض، كأن لونه قد أشكل على الناس؛ لذا فإن كل مختلط (مشكل)، ومنه قيل للأمر المشتبه (مشكل)" [٤].

---

(١) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، ص٤٠.

(٢) الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، طهران، ١٣٠٦هـ، ص٣٤.

(٣) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، مطبعة دار الكتب، مصر، ص٣٣٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش،ك،ل) ، ٥٨٨/٥.

وتحدث ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" عن سبب تأليف هذا الكتاب بقوله: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظرٍ مدخول، فحرفوا الكلم عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة في اللحن، وفساد النظم والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبهة في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور، فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب، جامعاً لتأويل مشكل القرآن، إذ إن المدافعين عن قضية الإعجاز تعددت بهم المسالك، وتباينت آراؤهم في سبب عجز العرب عن معارضتهم للقرآن الذي تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله، وهم الفصحاء، والبلغاء، والخطباء، والشعراء، والمخصوصون بين جميع الأنام بالألسنة الحداد، واللدد في الخصام، مع اللب والنهي، وأصالة الرأي، وقد وصفهم الله بذلك في غير موضوع من الكتاب، وكانوا يقولون: هو سحر، ومرة يقولون: هو قول الكهنة، ومرة: أساطير الأولين"[(١)].

إذن سبب تأليف ابن قتيبة لهذا الكتاب ما رآه من كثرة الشكوك والطعن المثارة حول القرآن الكريم؛ لذلك تضمن كتاب تأويل مشكل القرآن الكثير من القضايا البلاغية التي تخدم القرآن الكريم وإعجازه، فيقول: "وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلوا لا يمل على طول التلاوة، ومسموعا لا تمجه الآذان، وغضاً لا

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ص٧٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يخلق على كثرة الرد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه"(١).

و ابن قتيبة يعترف بقدر القرآن الكريم؛ لما فيه من الإعجاز في نظمه وتأليفه، فهو محفوظ بعناية الله عز وجل، وفي ضوء هذا عرض ابن قتيبة من خلال كتابه الذي يحتوي على مقدمة وسبعة عشر باباً لقضايا أسلوبية ذات أهمية بالغة، فأوضح أن القرآن الكريم تميز بأنه معجز من الإيجاز يقول: "جمع القرآن الكثير من معانيه في القليل من لفظه"(٢)، ويقول أيضاً: "فإن شئت أن تعرف ذلك، فتدبر قوله -ﷻ-:﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٣) كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم؛ لأن في أخذ العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي (الأمر بالعرف) تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن الحرمات، وإنما سُمي هذا وما أشبه (عرفا) و(معروفا)؛ لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئن إليه، وفي الإعراض عن (الجاهلين) الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مماراة السفيه، ومنازعة اللجوج(٤).

ومن القضايا البلاغية التي تناولها ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن أن القرآن الكريم لا يمكن ترجمته إلى لغة أخرى؛ لأن "للعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والإخفاء والإظهار،

(١) المصدر نفسه ، ص٣.
(٢) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.
(٤) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص٤-٥.

والتعريض والإفصاح، والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد ومخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ... وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة"(١)، ثم بعد ذلك يعرض ابن قتيبة إلى أدلة من القرآن الكريم التي تحمل بوصفها الخاص "معاني لا يمكن التعبير عنها في وصف عربي آخر، فما بالك بلغة أجنبية"(٢).

يشير كذلك ابن قتيبة "إلى أن المتشابه من القرآن الكريم"(٣)، عدّه سراً من أسرار الإعجاز، فهي من القضايا التي نالت حظاً وافياً من عناية ابن قتيبة، يقول: "وأصل التشابه أنْ يشبه اللفظ في الظاهر، والمعنيان مختلفان، ثم قد يقال لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، ومثل المتشابه (المشكل) وسُمي مشكلا؛ لأنه أشكل: أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله، ثم قد يقال لما غمض –وإن لم يكن غموضه من هذه الناحية– مشكل"(٤). فهو يقرر بذلك أن "القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل؛ لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر"(٥). وأن الشعراء حين يبالغون في الوصف لا ينسبون فيه إلى الإفراط وتجاوز المقدار؛ لأن ذلك جائز حسن، ومثله ما ورد

(١) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص٢١.
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) المصدر نفسه، ص١٠١.
(٤) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص٢١.
(٥) المصدر نفسه ، ص٨٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في القرآن الكريم: كقوله–ﷻ– : ﴿ إِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾(١)، ويريد أنهم ينظرون إليك بالعداوة نظراً شديداً، يكاد يزلقك من شدته، أي يسقطك(٢).

ويشير ابن قتيبة أن العرب تميزوا عن غيرهم بفن الشعر بقوله: "الذي أقامه الله تعالى لها مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا، ولآدابها حائطا، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً لا يرث على الدهر، ولا يبيد على مر الزمان، وحرسه بالوزن والقوافي وحسن النظم، وجودة التحبير من الدرس والتغيير، فمن أراد أن يحدث فيه شيئاً عسر ذلك عليه، ولم يخف له كما يخف في الكلام المنثور"(٣).

كذلك نجد أن ابن قتيبة يكثر بالاستشهاد بالشعر؛ لأنه يعدّه ديوان العرب وسبيلاً لفهم آيات القرآن الكريم، ومن الأمثلة في ذلك عند تفسير لأسماء الله الحسنى في القرآن الكريم: مثل كقوله–ﷻ–: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤)فالسلام صفة من صفات الله تعالى، ويرى أهل النظر من أصحاب اللغة أن السلام يأتي بمعنى السلامة، فيستشهد لذلك بقول الشاعر:(الوافر التام) (٥)

---

(١) سورة القلم ، الآية ٥١.
(٢) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٧٠ ومابعدها.
(٣) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، ص١٦.
(٤) سورة الحشر، الآية ٢٣.
(٥) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٣هـ،ص٦

تُحَيِي بالسّلاَمَةِ أمّ بَكْرٍ فَهَلْ لَكِ –بَعْدَ قَوْمَكِ– مِنَ سَلاَمِ؟"

فالسلامة تعني هنا السلام؛ لذا عزز ابن قتيبة هذا المعنى بما ورد في الشعر، وفي تفسير قوله كقوله–ﷻ-: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] ، ثم نجده ينتقل إلى التحدث عن اللهجات العربية في القراءات القرآنية يقول: "التميمي يهمز والقرشي لا يهمز"[2]، والهذلي "عتى حين" يريد بها" حتى حين، فتبدل صوت الحاء عيناً: كما في كقوله–ﷻ-: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[3]؛ لأنهم هكذا يلفظون بها، ويستعملون، فهي سمة مميزة عند قبيلة هذيل. كل ذلك جعل ابن قتيبة يتعرض لمباحث لغوية وبلاغية، تعين على فهم القرآن الكريم، وتبين صور إعجازه ومواطن بلاغة ألفاظه، وجمال أسلوبه ورفعة معانيه.

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٩.
(٢) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، ص٣٩.
(٣) سورة المؤمنين، الآية ٥٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثالث: البلاغة و التداولية

لقد تنبه كثير من الدارسين للتراث البلاغي والنقدي إلى أسبقية البلاغة العربية في علاقتها وارتباطها بالبحث التداولي الحديث، على الرغم من أن التداولية لم تظهر ملامحها بكونها منهجا مستقلا واضح المعالم إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، لكن مع البحث والتقصي من قبل دراسي البلاغة والنقد تبيّن أن لها جذورا معرفية في تراثنا القديم، فالبلاغة العربية لها بعدٌ تداوليٌ.

ويتضح ذلك في تعريف البلاغة بعنايتها بمقتضى الحال، وسياق الموقف، وبذلك تكون البلاغة تداولية في صميمها؛ لذلك التداولية تعرف في أيسر صورها بأنها مراعاة العلاقة بين مستعملي اللغة "متكلم، متلقي، السياق الكلامي أو ظروف الكلام"، ولذلك تتفق البلاغة والتداولية في اعتمادها اللغة بوصفها أداة لممارسة الفعل على المتلقي(١).

وعند استعراضنا لتعريف البلاغة العربية عند علماء البلاغة العربية تظهر لنا تلك التقاطعات مع التداولية من خلال تحديد القصدية التي يسعى لها المتكلم في مراعاته حركة المقامات، وكذلك دور القصدية في ضبط سير عملية التخاطب الناجح؛ للوصول إلى الإفهامية، وهو ما يسعى له الدرس التداولي إلى إبرازه من ذلك نجد تعريفات البلاغة تنطلق من هذه الفكرة

(١) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٦م، ص٩٧-٩٨، و مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية"، ص٦، و عبد الهادي بن ظافر الشهري إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص٦.

العامة، وفي ذلك يعرف أبو هلال العسكري للبلاغة بقوله: "سميت البلاغة بلاغة؛ لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"(١).

ونجد نظرة شمولية عند الخطيب القزويني للبلاغة، وذلك بجعله أساس إنجاح العملية التداولية التخاطبية بكل عناصرها، وهذا دعاه إلى القول إن البلاغة "تكون في الكلام والمتكلم، والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، فالكلام البليغ هو الكلام الواضح المعنى الفصيح العبارة، الملائم للموضع الذى يطلق فيه، وللأشخاص الذين يخاطبون."(٢)

ويشير ابن خلدون إلى أن المتكلم يقصد دائماً "إفادة السامع من كلامه، ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة على أحوال المتخاطبين، أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل، وهو محتاج إلى الدلالة عليه؛ لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة من كلامه، وإذا لم يشتمل على شيء منها، فليس من جنس كلام العرب، فإن كلامهم واسع لكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة"(٣).

أما ابن سنان الخفاجي؛ فيقرر أهمية التناسق التركيبي في البلاغة بقوله: "يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع"(٤).

---

(١) أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين، مصر، ١٩٥٢، ص٨.

(٢) الخطيب القزوينى محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، مج١، ج١، ١٩٩٣م، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص٤١-٤٢.

(٣) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص١٤.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٥٥٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كل ما ذكر من هذه التعاريف التي تتناول مفهوم البلاغة عند القدماء تدور كلها حول قاسم مشترك هو "حسن الإفهام والوصول إلى قلب السامع وإفادته ... وهذا هو عين الاتصال والتواصل، وهما لب التداولية؛ لأنها إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية، وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف"(١).

و يتضح من ذلك أن عملية التواصل والإبلاغ هي من الوظائف الأساسية للبلاغة، فغايتها إيصال المعنى، أو قدرة المتكلم في إيصال المعنى إلى السامع مع وضوحه؛ لنصل إلى أن دور البلاغة كما يقول تمام حسان: إن "المعنى اللغوي للفظ البلاغة فرع على معنى الإبلاغ أو التواصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال"(٢).

لذا اقترح تمام إحسان تعريفاً لمصطلح البلاغة قائماً على أربعة أركان خاصة بالتواصل التي حددها جاكبسون؛ ليكون له عوناً على فهم المقصود بالبلاغة، إذ يقول: "دعنا نفهم السياق جدلاً بأنه المقام، والرسالة بالنص، أو العبارة، وقناة الاتصال مثلاً بالمشافهة، والشفرة بالمعنى المقصود؛ ليصل إلى أن البلاغة هي: عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة منطوقة خلال قناة اتصال في مقام معين، وربما أضفنا جهد السامع في حل الشفرة"(٣).

---

(١) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص١٧.

(٢) تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ج١،ص١٥٥.

(٣) تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب ، ص١٥٦.

وفي هذا الصدد ترتبط البنية الخطابية والبنية الداخلية وظروف مستعمله وحامله من متكلم ومخاطب"بالبعد التداولي بمصادر البلاغة القديمة على منظور المخاطب باعتباره مناط تحقيق النّجاعة للخطاب، وتولدت عن ذلك مجموعة من الشروط المطلوب توفرها في المتكلم كمبلغ، وفي الخطاب كبلاغ له، والمنبت النفعي يبرز هذا التركيز، فقبل أن تتحول البلاغة إلى علم تحسيني لغوى كانت علما للخطاب الشفاهي: يعنى بملاءمة الخطاب للمقام ثم أصبحت بحثاً في ملاءمة الشكل للموضوع، وبهذا الاعتبار لم تكن المقاربة التداولية غريبة عن البلاغة قبل تحولها، وقد كانت العناية بتكوين الخطيب وثقافته –وهو بعد تداولي– من اهتمامات البلاغة الخطابية، والبيان والتبيين للجاحظ حافل بهذا الاهتمام"(١). وانطلاقاً من هذا البعد التداولي تتبلور وظيفة البلاغة ونفعيتها، ويعلق في هذا الموضوع محمد العمري بقوله: "التداولية الحديثة هي بعد (جاحظي) في أصله وجوهره؛ لاهتمام هذا الأخير بعملية التأثير في المتلقي، والإقناع في كتابه (البيان والتبيين)، وسميت هذه النظرية عنده بـ"التأثير والمقام"، التي تعرف اليوم باسم (التداولية)، كما اعتنى عناية فائقة بالمتلقي، والمتكلم، والمقام، وبعملية التأثير والإقناع، وهي أبعاد تداولية لا شك فيها"(٢).

يقال إن "الجاحظ والمعتزلة عموما –وهم أهل جدل ومناظرة–يعتدون بالسامع، ويجعلون المقام والموضع المرتبط به مقياسا في بلورة القول البليغ والخطاب الناجع، وتحديدات الرماني والخطابي والباقلاني تنطلق من

(١) جمال الحضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، ص٢٠٩.

(٢) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م،، ص ٦٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المنطلق ذاته، وهي بصدد رد الشبهات والمطاعن"[١]، وجازماً بأن "الجاحظ يجعل من رعاية السامع منبعا لكل آرائه البلاغية"[٢]. وتحدث الجاحظ – أيضا– عن مراعاة حال المخاطب فقال: "إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه"[٣]، والمقصود من ذلك "أن المستمع إذا لم يكن في حالة نفسية جيدة فإنه لن يستوعب الخطاب كما ينبغي، ومراعاة حال المخاطب تعني أن نأخذ بعين الاعتبار هويته اللغوية والاجتماعية والثقافية، وأن نستحضر الظروف الموضوعية، وخصائصه النفسية والذاتية التي تحكمه وتحدده"[٤].

و قيل عن مراعاة حال المخاطب في البلاغة: "أن يراعي المتكلم قدر مخاطبيه ومنزلتهم الاجتماعية، فالقول لا يقنع إذا لم يكن موجهاً: أيْ مكيفاً بحسب الحاجات الخاصة التي تقضيها فئات المخاطبين، فالوضعيات تختلف والمراتب تتباين والأفهام تتفاوت"[٥]، وإذا ما عرجنا إلى ابن رشيق صاحب كتاب العمدة الذي تطرق لبعض مفاهيم التداولية في كتابه من خلال تحدثه عن العملية التواصلية من خلال حديثه عن حال المخاطب ومراعاة ظروفه،

---

(١) جمال الخضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية ، ص٢٢٧.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٧.
(٣) جمال الخضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية ، ص٣١٥.
(٤) حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم المكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م، ٢٤١/١.
(٥) عبد اللطيف عادل، خطاب المناظرة في يالتراث العربي والإسلامي، مقاربة لآليات بلاغة الإقناع (دكتوراة)، قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض ، مراكش ، المغرب ، ص٥٢-٥٣.

يقول: "نجاعة الخطاب وفعله في المخاطب رهينان إذن باستحضار المتكلم لطبيعة المستمعين ومواقفهم وظروفهم، فالقول المقنع لا يكون غفلا بل حاملاً لانتظارات المتلقين"(١).

فالبلاغة العربية اهتمت بالمخاطب فجعلت له قوانين لعملية الاتصال الناجح، فالخاطب حتى يصل المعنى إلى قلبه وعقله، ويؤثر فيه، ويحقق الهدف المطلوب، فالبلاغة "في عمق تكوينها وأهدافها هي التداولية؛ لأن كليهما يعتمدان طرفي معادلة الاتصال: (للمتكلم والمتلقي)، فالبلاغة: فن التعبير، والتداولية: فن يهدف إلى الوصول إلى مواقف إيجابية في دائرة المتلقي، فالنص باعتباره مجموعة من العمليات السيمولوجية والممارسات اللغوية في داخل هذه الدائرة لا بد أن يخضع أثناء عملية الجريان التوظيفي لشروط التداولية ؛ حتى يحقق الهدف البلاغي"(٢).

وها هو "حازم القرطاجي ينقلنا إلى محور جديد من محاور التداولية، وهو (القصد) ويعتبره أساساً في عملية التواصل والإبلاغ، ويشير إلى فكرة القصد، فهو يجعل الفائدة المتداولة بالقصد، يقول: "لما كان الكلام أولى الأشياء، بأن يجعل دليلاً على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها"(٣). فيثبت حازم عن طريق كلامه أن البلاغة تهتم بالجانب التواصلي والاستعمالي للغة التي تسمى اليوم في النقد الحديث بالتداولية التواصلية،

---

(١) أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨١م ، ٩٢٨/١.

(٢) عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية والدوائر الثلاثية البلاغية، دار الصفا للنشر والتوزيع، الأردن، ص٧٨

(٣) أبو الحسن حازم القرطاجني، مناهج البلغاء وسراج الأدباء ، تونس ، ١٩٦٦م، ص٤٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهي التي تسعى إلى إنجاح العملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب، إذ لا يمكن للدلالة أن تتضح ملامحها إلا بوجود عناصر الخطاب التي تمثل جوانب التداولية، كذلك يؤكد حازم بقضية نفعية البلاغة فالخطاب الذي لا يحقق منفعة لا يحقق التواصل المنشود.

فحازم "يتفطن للبعد البراغماتي، أو التداولي في العملية التواصلية، إن هذا التصور النقدي للتواصل الشعرى متطور جداً، ويعكس عمقاً في النظرة ووعياً بعناصر التجربة الشعرية باعتبارها تجربة لغوية نفسية يكتنفها إطار اجتماعي ومقام خارجي، تؤثر فيه وتتأثر به"(١).

ويتطرق حازم إلى قضية التأثير بين المتكلم والمخاطب، وهذا توجه تداولي؛ لأنه لا بد من أن يكون بين المتكلم والمخاطب شفرة لغوية؛ للتأثير وإفهام المعنى، وتوضيحه، وهذا مطلب تداولي؛ لإنجاح الخطاب يقول: "وجب أن يكون المتكلم يبتغي إما إفادة المخاطب أو الاستفادة منه أو بعضها بالقول"(٢).

وتتجلى جذور التداولية في التراث العربي عند عبد القاهر الجرجاني في اهتماماته بالوظيفة التواصلية والتأثيرية التي تمثل جانباً مهماً في التداولية، وقد ناقش ذلك في العديد من القضايا البلاغية في كتابه (دلائل الإعجاز) وخاصة حديثه عن مسألة الإعجاز والبلاغة والفصاحة التي تعدّ صلب آراء التداوليين المعاصرين اليوم، إذ كان لديه "منطق أساسي يكمن

(١) محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة ، مجلة الوصل، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلسمان، العدد الأول، جانفي١٩٩٤، ، جامعة الرباط، كلية الأداب ، ص٢٥.

(٢) المرجع السابق نفسه.

في أن النص كي يحقق تأثيره لا بد من مراعاة عملية التواصل ومكوناتها المحدودة في ثلاثة عناصر هي "المبدع والنص والمتلقي"(١)؛ لأن التداولية تعنى بـ"العلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منتظم، مما يطلق عليه سياق النص، ويأتي هذا؛ ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي يشار إليها في البلاغة بعبارة (مقتضى الحال) التي أنتجت المقولة الشهيرة (لكل مقام مقال)"(٢). بذلك يمكن كون (مقتضى الحال) و(لكل مقام مقال) من الأساليب الضرورية في مناسبة الكلام للمقام، فكل مقام له خصوصية في الصورة التي يورد عليها الكلام، فالبلاغة العربية تشمل عناصر الاتصال التي ذكرها جاكوبسن وهي "المرسل، والمتلقي، والسياق والخطاب، وقناة الاتصال، والشفرة"(٣).

إذن اهتمام البلاغة بقاعدة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) و(لكل مقام مقال) يثبت البعد التداولي للبلاغة العربية، فقد ربطت بين التشكيلات اللغوية، والمقام، وحال المتلقي، والمتكلم، وعليه فـ"البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة؛ للتأثير على بعضها"(٤).

---

(١) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النحو العربي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص٢٧٩.

(٢) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٩٨.

(٣) أسامة البحيري، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية، ندوة بعنوان "الدراسات البلاغية الواقع والمأمول"؛ كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٢١٩.

(٤) سعيد بحيري، علم لغة النص مفاهيم واتجاهات، دار نوبار للطباعة، القاهرة،ط١ ، ١٩٩٧، ص٢٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبالاطلاع على التراث البلاغي العربي في المدونات المختارة يدل على أن البلاغيين والنقاد العرب "قد مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بوصفه فلسفة وعلماً، رؤية واتجاهاً أمريكياً وأوروبياً"(١). فالتداولية تبدو واضحة وجلية في الدرس البلاغي العربي في نقاط التلاقي بين ما جاء في أقوال البلاغيين العرب وما جاء به التداوليون المحدثون.

(١) محمد سويرني، اللغة ودلالتها، "تقريب تداولي للمصطلح البلاغي"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج٢٨، ع٣، ٢٠٠٠م، ص٣٠.

المبحث الرابع: التداولية في كتاب "تأويل مشكل القرآن".

يمثل الاهتمام بالتداولية في البلاغة العربية موضوعاً جديراً بالبحث والتقصي، وإذا كان لا يمكن رصد كل تمظهراته وتجلياته وأبعاده ومستوياته في الدرس البلاغي فإننا سنقتصر في هذا البحث على كتاب ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن) من خلال تتبع المظاهر التداولية، وارتباطها به في كثير من مباحث هذا الكتاب؛ لذلك ينبغي لنا التأمل مع المقاربة التداولية وقضاياها، ونحن نبحث عن إرهاصاتها داخل كتاب (تأويل مشكل القرآن)، ولتكن نظرتنا موضوعية وواقعية مستندين إلى الحقائق القائمة على الحوار، لا على المشاعر والأحاسيس.

ويقول في ذلك أحمد المتوكل: "أتاحت لنا دراسة الوظائف التداولية الخمس في اللغة العربية إطار النحو الوظيفي أن نمحص -إلى حد ما- الأطروحة التي دافعنا عنها منذ سنوات، والقائلة بإمكان إقامة حوار مثمر بين الفكر اللغوي العربي القديم والفكر اللساني الحديث على أساس القرض والاقتراض، على الرغم من انتماء الفكرين إلى حقلين نظريين متباينين، ويدل على إمكان إقامة هذا الحوار أننا استطعنا أن نغني النحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم من النحو والبلاغة العربيين من جهة أخرى، وأن نعيد النظر في مجموعة اقتراحات النحاة والبلاغيين القدماء من جهة أخرى دون أن ينتج عن هذا أي تحريف أو تشويه"[١].

---

(١) أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م ، ص١٨٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(١) تعريف البلاغة و التداولية:

من ملامح التداولية في تعريف البلاغة عند ابن قتيبة من خلال (كتابه تأويل مشكل القرآن) الذي يبين تقاطع هذا التعريف مع التداولية، وذلك عندما مثل البلاغة في القول، وحصرها في تعريف جامع وشامل لطرائق القول ومآخذه، فيقول: "وللعرب مجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومأخذه"(١)، ففيها الاستعارة والتمثيل، والقلب والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء والإظهار، والتعريض والإفصاح، والكتابة والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز، إن شاء الله تعالى، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور، وسائر كتب الله تعالى بالعربية؛ لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب"(٢).

إن هذا التعريف للبلاغة كما ذكره ابن قتيبة فيه إشارة جلية وواضحة على وعيه بتلك الأبعاد التي تقوم عليها التداولية وآلياتها من خلال علاقة المتكلم بالمخاطب، وعناصر الاتصال وهي فكرة تداولية حديثة؛ لأن البلاغة تهتم بالرسالة فلا بد من أن تؤدي وظيفتها وفاعليتها عند المتلقي وهي الإفهام، والمخاطب هو شريك أساسي في العملية التواصلية، فهو لا يقل أهمية وقدراً عن المتكلم؛ لذلك نجد ابن قتيبة في تعريفه للبلاغة يقول:

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٢١.
(٢) ابن قتيبة، المصدرالسابق نفسه.

"للعرب مجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه"؛ لذلك لا بد للمتكلم أن يراعي أقدار طبقات المتلقين، وأن يعرف "أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني،ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"(١).

إضافة إلى هذا ربط ابن قتيبة البلاغة بالمقصدية، وهي أساس العملية التواصلية التداولية، فلا يمكن أن تقوم إلا إذا كان الكلام موجهاً من متكلم إلى سامع مع مراعاة المقاصد والأغراض، فاللغة لا يمكن أن تحمل دلالات تواصلية إلا من خلال المقاصد التي تؤديها، ونجاح العملية التواصلية مقرون -كما ذكر- بقدرة المتكلم على إيصال فكرته للمتلقي مع مراعاة حاله؛ لأن الخطاب "يحمل الخصائص التميزية للمتكلم فهو ينبئ بطبيعة السامع الذى أنشئ من أجله، بل إن الخطاب في ذاته يكون أغلب الحالات حسب ما يريده السامع لا المتكلم، وتلك هي سمة اللسانيات التداولية الحديثة التي تتقاطع مع البلاغة العربية"(٢).

(٢) ربط البلاغة بالمقصدية

أشار "هنريش بليث" إلى ربط البلاغة بالمقصدية في كتابه (البلاغة والأسلوبية)، إذ يشير إلى أن "توجه البلاغة نحو الأثر (التداولي) يظهر

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محوب الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام هارون، مكتبة الجانجي، مصر، ط٤، ١٩٧٥م، ج١، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع -في اللسانيات التداولية - ترجمة سعيد الغانمي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٦،ص ١٧٥-١٧٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بتميزها منذ القدم بين ثلاثة أنماط أساسية من المقصدية، واحد منها فكري واثنان عاطفيان: أحدهما معتدل والثاني عنيف (انفعالي أو تهييجي)"[١]. فيمكن القول –عموما– إن هذه النظرة من ابن قتيبة في اهتمامه بعناصر التواصل هي مرآة للوعي العميق التي انتابت فكر ابن قتيبة وذهنيته في أهمية السياق التواصلي، فالدراسة التداولية "لا تغفل قط العناصر الأربعة التي ترى أنها أساس تحليلنا لأي خطاب مهما كان نوعه، إنها (المخاطِب، والمُخاطب، والسياق، والخطاب)، وهي المنطلق الرئيس في البناء الهيكلي الذي يبنى عليه الخطاب"[٢].

وتنطلق النظرية التداولية لأي نص على مفهوم (المقام)؛ لذلك تعتمد بكونها نقطة محورية لها؛ لذلك نجد مصطلح المقام من أكثر المصطلحات تداولاً في المدونات البلاغية القديمة ف مكانة كبيرة مما يدعوننا؛ للكشف عن مفهومه، ووظيفته، وأهميته، وقيمته في الدرس البلاغي.و بذلك تكون " فكرة (المقام) هي المركز الذى يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي ينبغي عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقام)، ومن المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي)، وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا (معنى المقال)، أو (المعنى الحرفي)، كما يسميه النقاد، أو معنى ظاهر النص كما يسميه الأصوليون وهو– مع التحفظ للظاهراتية – معنى فارغ تماماً من محتواه الاجتماعي

(١) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص٢٥.
(٢) عبدالهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص١٢٣.

والتاريخي، ومنعزل تماماً عن كل ما يحيط بالنصوص من القرائن الحالية..." [١].

ويحدد محمد العمري (المقام) في الدرس البلاغي العربي بقوله: "يتسع المقام ليشمل مجموع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب شفوياً كان أم مكتوباً، وكثيراً ما ارتبط (المقام) في البلاغة العربية بزيادة شرح وتحديد، وذلك بالحديث عن أقدار السامعين ومقتضى أحوالهم، فبمثل هذا التوضيح نرتبط ارتباطاً مباشراً بالخطاب الإقناعي، وهو الخطاب المقامي بالمفهوم الضيق والمحدد للمقام، ولإجلاء الصورة نشير مبدئياً إلى أن المقام يضيق حتى يقتصر على مراعاة حال المخاطب في لحظة محددة معلومة سلفاً للخطيب، ويتسع حتى يسع المجال، أو الإطار الحضاري المشترك بين الناس عامة، أو داخل نسق حضاري ذي طابع متميز"[٢]. لذلك من أهم شروط المقام أن يكون مبنى بناءً مناسباً له، وأن يكون له خصوصية في الصورة التي يأتي فيها، فالرسالة تكون داخلة من ضمن هذا المقام لذلك يظهر الجانب التداولي فيه؛ لذلك عدت التداولية عبارة عن "العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منتظم، مما يطلق عليه سياق النص ... ويأتي مفهوم التداولية هذا؛ ليغطي بطريقة منهجية المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة العربية القديمة بعبارة (مقتضى الحال)، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية (لكل مقام مقال)"[٣].

---

(١) تمام حسان، اللغة معناها ومبناها، دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٩٤م ، ص٣٣٨.
(٢) محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، المغرب، ط٢ ، ٢٠١٤م، ص١٢٢.
(٣) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الخامس: علم البيان والتداولية.

جاء في لسان العرب أن البيان "الفصاحة، واللسن، والبيان: الإفصاح مع ذكاء، أو إظهار المقصود بأبلغ لفظٍ، وهو من الفهم وذكاء القلب"(١).

والبيان عند الجاحظ يأتي بمعنى "الإيضاح والإفصاح"، من هناك يكون البيان ذا علاقة بالخطاب، حيث يعنى بالإبانة والإرسال، أو الإبلاغ، المبين الذي يتم عبر اللغة وغيرها"(٢)، وهو –أي البيان–" اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير؛ حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصول كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن هذا مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، وإنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"(٣). أما الخطيب القزويني فيعرفه بقوله: هو "العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"(٤).

وهذا الرماني في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" يقسم البلاغة إلى عشرة أقسام؛ يجعل (البيان) القسم العاشر منها، ويحدُّه بالقول: "الإحضار

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة "بين"، طبعة دار المعارف، المجلد الأول ، ص٤٣–٤٨.

(٢) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م ، ص١٤٣–١٤٤.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١ ، ص٧٦.

(٤) محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص، ضبط: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٠٤م، ص٢٢٤. والإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص١٢٠.

لما يُظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، ثم يقسم الكلام على وجهين: كلام يظهر به تميز الشيء من غيره فهو بيان، وثانيهما كلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان"(١). بذلك يعدّ البيان عند الرماني، "ما هو إلا صورة صادقة على روح التأثير، وبحدٍ بعيد بآراء الجاحظ: وهو الكلام الذي به يظهر التمييز بين الأشياء، وإن كان اللفظ قد تحدد لديه شيء ما فأصبح يدل على القول الجميل مضافاً إليه الحسن الناشئ عن حسن وقع اللفظ في السمع، وسهولته ويسره على اللسان"(٢).

فالمتتبع لعلم البيان يجده يدل على دلالتين حتى نهاية القرن الرابع: الأولى مرادف للبلاغة، والثانية التعبير الراقي المؤثر؛ لذلك جاء السكاكي يقول عنه: "... إذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية وهي: الانتقال من معنى إلى معنى؛ بسبب علاقة بينهما: كلزوم أحدهما للآخر بوجه من الوجوه، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعان ..."(٣).

أما ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" نجده تحدث عن البيان من خلال نظرية إعجاز القرآن، وذكر أبواباً هي أصول علم البيان: مثل باب الاستعارة، وباب الكناية والتعريض، وكل هذه أوجه البيان وأصوله، فنجده

---

(١) الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق، محمد خلف الله أحمد وزغلول سلام، طبعة دار المعارف، ص٩٨.

(٢) الرماني والخطابي والجرجاني، المرجع السابق نفسه.

(٣) يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العالمية، بيروت،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص٤٣٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقول: "وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والتعريض والإفصاح، والكناية، ...مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز، إن شاء الله تعالى"(١).

فمقولة ابن قتيبة تلك في تأصيله لعلم البيان أنه يستمد قوته من قضية الإعجاز القرآني، واتساع العارضة والبيان لدى العرب، وفق طرق تداولية؛ لأن ابن قتيبة يجسد في كلامه من خلال كتابه (تأويل مشكل القرآن) حقيقة الإعجاز والبيان من مصطلحات بلاغية: كالاستعارة، والكناية، والتشبيه، والتمثيل ... مؤكداً على خاصية المقصدية البلاغية فيقول: "وبكل هذه المذاهب نزل القرآن"(٢).

فابن قتيبة كانت نظرته تؤدي وظيفة إستراتيجية مهمة في العملية التداولية، وذلك في قدرته على رسم الصيغ الكلامية من حيث الاهتمام بالبناء التركيبي والمعنى الذي يحمل هذا التركيب القائم على أساس الانتقاء الدقيق للعبارة واستعمالها داخل الخطاب، وذلك في حدود المقام المؤطر للعملية التواصلية.

وبناءً على ما تقدم، فكل مباحث علم البيان التي ذكرها ابن قتيبة في مقدمته قائمة على "مقتضى الحال"، و(لكل مقام مقال) في أصول علم البيان، وسنتناول من مباحث علم البيان (المجاز، والاستعارة، والكناية)، ومدى علاقتها بالتداولية.

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٢١.
(٢) ابن قتيبة، المصدر السابق نفسه.

(١) المجاز التداولي

شغلت قضية المجاز طائفة من البلاغيين والمفكرين العرب، غير أن القدماء كانوا أكثر استقصاء لهذه القضية البلاغية البارزة والتقعيد لها؛ لذلك نحاول استجماع بعض التعريفات الواردة بشأن هذا المصطلح بكونه مرحلة أولى، فيعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "وأما المجاز فهو كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، أو كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز"(١).

عبد القاهر الجرجاني تحدث عن المجاز البلاغي بطريقة مفصلة، وذلك بقوله: "المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً"(٢). والمجاز عند ابن جني يقول فيه: "الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك"(٣)، ويقول عن المجاز ابن رشيق: "إن العرب كثيراً ما تستعمل المجاز في كلامها وتعدّه من مفاخر الكلام، ودليل الفصاحة، ورأس البلاغة"(٤).

---

(١) عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة، تحقيق عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٥.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ،٤٤٢/٢.

(٤) ابن رشيق، العمدة، ٢٦٧/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويعدّه من "طريق القول ومأخذه، وهو مصدر (جزت مجازاً)، كما تقول: قمت مقاماً، وقلت مقالا، والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع. وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ، ثم لم يكن محالاً محضاً، فهو مجاز؛ لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز"(١). ونصل لمفتاح العلوم للسكَاكي، فيعرف المجاز بأنه هو "الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع وقولي بالتحقيق احتراز أن لا تخرج الاستعارة"(٢). و ما إن نصل عند ابن قتيبة حتى نجد المجاز يحتل مرتبة عليا؛ لأنه يرى بأن هذه الظاهرة البلاغية تدور حول قضية إعجاز القرآن تلك المرتبة جعلت له الأحقية؛ لتفهم أساليبه التي وردت في كتاب الله؛ لذلك تحدث في مقدمته عن المجازات، وعددها بكونها طرائق القول ومآخذه.

فقضية المجاز نجدها أخذت حيزا كبيرا من اهتمام ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن)؛ لذلك نجده يقول عن المجاز "إن القول يقع في المجاز"(٣)؛ لذلك أدخل ابن قتيبة جل فنون البلاغة في المجاز، فيقول: "وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومأخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء،

(١) ابن رشيق، المصدر السابق نفسه.
(٢) يوسف بن أبي بكر السكَاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبدالمجيد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٥٨.
(٣) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٥-١٦.

والإظهار، والتعريض والإفصاح والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة سنراها في أبواب المجاز إن شاء الله تعالى"[١].

نلحظ من مقولات ابن قتيبة عن المجاز اهتمامه برعايته المخاطب في جعله شريكاً في العملية التواصلية، وأوجب مراعاة مقتضى الحال، ولم يعط المخاطب حرية مطلقة يصول ويجول كما أراد، بل فرض قيوداً وضوابط وأحكاماً، معتمداً على البعد التداولي في الأبواب التي ذكرها من استعارة وتمثيل، وقلب، وتقديم، وتأخير، وتكرار قد جعلها مرهونة بعلم المخاطب وقصد المتكلم؛ بغية الوصول للمراد والإفادة، وهذه عناصر الاتصال التداولي التي يقوم عليها الفعل التواصلي. فابن قتيبة ينتقل إلى نقطة أخرى، ويذكر أحكام المجاز بكونها أفعاله لا يخرج منها المصادر، ولا تؤكد بالتكرار، فلا يقال: أراد الحائط أن يسقط إرادة شديدة، وقالت الشجرة فمالت، لا تقول: قالت الشجرة فمالت قولاً شديداً، وقوله تعالى: "وكلم الله موسى تكليماً"[٢]، فأكد بالمصدر معنى الكلام، ونفي عنه المجاز، ولا يقال: ألهمه الله كلمه.

وفي السياق- نفسه- يرد على الذين أوّلوا كلام السماوات والأرض، وخطاب الله لهما، وكذلك مخاطبة جهنم في قوله تعالى: "هل امتلأت وتقول هل من مزيد"[٣]، فيقول: "فما يحوج إلى التعسف والتماس المخارج الضعيفة؟ وما ينفع من وجود ذلك في الآية"[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢١.
(٢) سورة النساء، الآية ١٦٤.
(٣) سورة ق، الآية٣٠.
(٤) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١١١ ومابعدها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولم تخل النصوص السابقة في كتاب ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن) من المبادئ التداولية التي تهدف إلى فهم النص ومراده، وتأثير المقام في معنى الأقوال، فكل العناصر التي تقوم عليها التداولية تهتم بالعلاقة اللغوية بمستخدميها وارتباطها مما يحيل له المقام، وهذا مما يؤكد أوستين بقوله: "أن اللغة لا تكتفي بمجرد وصف الكون والإخبار والتواصل، بل هي أداتنا لإنجاز أعمال لا تتحقق إلا بواسطة اللغة (الأعمال اللغوية) المؤثرة في المقام"(١).

فالتداولية -كما ذكرنا سابقا-تولي أهمية عالية للمقام وتأثيره في الأقوال، فتتجاوز الوصف التركيبي للجملة والدلالي، وتتخذه موضوعاً لدراسة القول منزلاً في المقام المقصود له، ثم ينقلنا ابن قتيبة إلى لون من ألوان المجاز مستعرضاً فيها لأقوال بعض المعتزلة بقوله: "ذهب قوم في قول الله -عز وجل- وكلامه إلى أنه ليس قولا، ولا كلاما على الحقيقة، وإنما هو إيجاد للمعاني، وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز"(٢)، ثم ينقل بعض أقوالهم في هذا مع شواهدها من الشعر، مثل قوله تعالى للسماء والأرض: "ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين"(٣)، فلم يقل الله: ولم يقولا، وكيف يخاطب الله معدوما؟،وإنماهو عبارة؛ لتكوينهما فكانتا، كما قال الشاعر حكاية عن ناقته(٤).(الوافر التام)

---

(١) جون أوستين، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، مراجعة، د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٢٦٤.

(٢) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٥٠.

(٣) سورة فصلت، الآية١١.

(٤) المثقب العبدي، ديوانه ، دار صادر، بيروت ، ص٢١٢.

تقولُ إذَا ذَرَأتُ لها وَصِيتي ... أهَذا دِينهُ أَبَداً وَديني

أكُلُّ الدَّهْرِ حِلّ وارتِحَالُ ... أمَا يُبْقِي عَليَّ ولا يَقِيني

وهي لم تقل شيئاً من هذا، ولكنه رآها في حال من الجهد والكلال، فقضى عليها بأنها لو كانت ممن يقول لقالت، مثل الذى ذكر لقول الآخر: شكا إليَّ جملي طُولَ السُّرى، والجمل لم يشكُ، ولكنه عبر عن كثرة أسفاره، وإتعابه جمله، وقضى على الجمل بأنه لو كان متكلما لاشتكى ما به[١]. وهذا كثير في شعرهم، ومنه قول عنترة عن فرسه:[٢] (الكامل التام)

مازلتُ أرميهم بِثَغْرةِ نَحرِهِ ... ولَبَانِهِ حتّى تَسَرْبَلَ بِالدَّم

فَازوَرّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلَبانِهِ ... وَشَكَا إليّ بِعَبِرْةٍ وتَحَمْحُمِ

لَوْكَانَ يَدْرِي مَا المُحَاورَةُ اشْتَكَى ... وَلَكان لَوْعَلِمَ الكَلَامَ مُكَلّمِي

ثم يقول ابن قتيبة: ونحو هذا كقوله-ﷻ-: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[٣] ليس يومئذ قول من جهنم، وإنما هو عبارة عن سعتها، فابن قتيبة من خلال حديثه السابق عن المجاز في مخاطبة المعتزلة، ينطلق من معرفته بأقدار السامعين، فتكلم معهم حسب قدراتهم، فنجده اجتهد في الوصول إلى المقصد من خلال قراءته للموقف وما قيل فيه من عبارات وألفاظ، وهذا ما يسمى "مقصد التواصل أو المقصد التواصلي للباث هو أعقد في الواقع، مما يبدو للوهلة الأولى ما ينبغي

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٥١.

(٢) ديوان عنترة، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م، ص١٩-٢٠.

(٣) سورة ق، الآية٣٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملاحظته أن الدلالة والفهم متعلقان، وأن كليهما يستلزم مفهوم المقصدية: دلالة الملفوظ تستلزم بالضرورة مقصداً تواصلياً من جهة الباث، وفهم الملفوظ يستلزم بالضرورة معرفة المتقبل بمقصد الباث التواصلي"(١).

وهذا ما أشار إليه البلاغيون إلى ضرورة معرفة مقاصد المتكلم، بل ربطوا بين المزية والبلاغة، وبين أغراض المتكلم، يقول عبد القاهر الجرجاني: "أعلم أن ليست المزية بواجبة لها (يقصد معاني النحو) في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد، والغرض الذي تؤم"(٢).

لذلك يعدّ المقصد من الأمور المهمة في العملية التواصلية التداولية عند المتكلم لكونه شيئاً أساسياً في إنجاح عملية الاتصال التداولي، لذلك جاء اهتمامها بالمتكلم وربطه بالمتلقي "فهي تعني أن التلفظ بالجملة يكون مناسباً لمقتضى آمال اللافظ بتلك الجملة ومقاصده، ومآربه مما يعبر عن أحكامه ومطالبه، وأيضاً فإن جهة الاعتبار مرتبطة بآمال المخاطب ومآربه ومعرفته تعبيراً عن وعوده ونصائحه وغير ذلك"(٣). بناء على هذا المبدأ يحدث نوع من التوافق مع الخطاب في بعده الإستراتيجي التداولي من خلال المقام؛

---

(١) محمد فكري الجزار، البلاغة والسرد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م، ص١٩١.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الأسرة، مصر، ٢٠٠٠م ، ص٨٧.

(٣) فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق ،٢٠٠٠م ، ص٣٠٣.

سعيا في إنجاح العملية التواصلية من كل الزوايا، ويجعل أيضا المتلقي محاطاً بكل حيثيات المشكلة للمقام؛ وذلك من أجل تحقيق تأويل مناسب لهذه العملية التواصلية بما يضمن الوصول إلى المعنى المراد (المقصدية)، ويحصل التواصل الفعال الإيجابي، وهذه من أهداف التداولية وأسسها.

(٣) الاستعارة و التداولية

أول من عرض الاستعارة الجاحظ بقوله "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره"[(١)]. والاستعارة عند القزويني عبارة عن: "ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"[(٢)]، والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصرا، لكنها أبلغ منه، فأصل الاستعارة -كما ذُكر سابقا- تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته؛ لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة فلا بد من ذكر المشبه والمشبه به، وهذا اعتراف بتباينهما، وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني، فلا تصل إلى حد الاتحاد بخلاف الاستعارة، ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وأن المشبه والمشبه به صار معنى واحدا، يصدق عليهما لفظ واحد، فالاستعارة مجاز، علاقته المشابهة[(٣)]، وقد أورد ضياء الدين ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) قوله: "الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين، بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه ، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً، إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/١٣٨-١٣٩.
(٢) سعد الدين التفتازاني، شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، مج٤، ص٤٥.
(٣) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط٢٠٠٢م، ص١٨٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر: كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر"[١].

يتناول ابن قتيبة الاستعارة بقوله: "فالعرب تستعير الكلمة، فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاوراً لها، أو مشاكلا. فيقول للنبات: نوء؛ لأنه يكون من النوء عندهم" كما جاء قول رؤبة بن العجاج:

وَجَفَّ أَنْوَاءُ السَّحَابِ المُرْتَزِق وَاسْتَنَّ أَعْرافُ السَّفَا علَى القِيق [٢]

أي: جف البقل، ويقولون للمطر: سماء؛ لأنه من السماء ينزل، فيقولون ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، قال الشاعر:

إذَا سَقَطَ السَمَاءُ بِأرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابـاً[٣]

والمسكوت عنه في هذا النص التنظيري لفن الاستعارة؛ لكونها عمدة علم البيان، فمن خلال النظر لهذه العبارة التي ذكرها ابن قتيبة تتضمن أبعادا تداولية في صناعة الخطاب، وذلك متمثل في المعاني الثانوية "المسكوت عنه" التي لها تأثير في المتلقي، وهذه أحدث آليات البحث التداولي التي تهتم بالتفاعل الشفوي: مثل أركيونيC.K.Orrecchion، التي تنظر إلى المجازات اللفظية: مثل الاستعارة والسخرية على أنها آليات تحمل في صلب مكوناتها قيما تداولية مهمة: مثل التضمينات[٤].

(١) ضياء الدين الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نشر دار النهضة، ط٢، ١٩٧٣ ، ص٩٨.
(٢) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٨٨.
(٣) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص١٠٢.
(٤) اوزولد ديكرو، وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان(طبعة منقحة)، ترجمة منذر عياشي، ط٢، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٧م، ص٥٣٠.

وأيضا نلحظ العمق التفكيري عند ابن قتيبة في إدراكه بالمعنى غير المباشر في عملية التلفظ عند استخدام الاستعارة البلاغية، وأيضا قيامها على عنصر مهم من عناصر التداولية القائم على الاستعمال التلميحي التي تفضي إلى دلالات قائمة على الخروج إلى مجال آخر؛ لذلك نجد فيه بعدا تداوليا؛ لأنه "تجبر المستمع (المتلقي) على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يقصده المتكلم"(١). فاستعمال الاستعارة بهذا القصد "يجعل اللغة تتخلص من معانيها السابقة، وتنتقل إلى معان جديدة لم تكن شائعة ومتداولة بين الناس من قبل، وهو السبب الراجح؛ لتأثر المتلقي بها"(٢).

وهذا يدعوننا في أغلب الأحيان للتصديق بمضمون هذا الخطاب؛ حتى نصل لدرجة الاقتناع به على عكس استعمال الألفاظ تصورها الحقيقة؛ لذلك جعل المتلقي في بحث عن الغرض الحقيقي وفك شفرة الاستعارة، وهذا يدخل ضمن التداولية التأثيرية لهذا الخطاب في تأثيرها المتلقي ومضامينه الفكرية.

إن الغاية التي تسعى إليها هذه المقاربات الاستعارية عند ابن قتيبة "إنما هي السعي إلى الاهتمام بالسامع بها يشبه العمد والإصغاء"(٣)، لذلك تميزت الاستعارة بالبعد التداولي "باعتبارها أحد مظاهر تأثير المقام في صناعة الكلام"(٤)؛ لذلك قامت الاستعارة على مبدأ التبليغ والتأثير في السامع

---

(١) الجيلالي دلاش، مدخل إلى علم اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢ص٢٩.

(٢) خيرة مسلم، شعرية النثر عند تودوروف، (ماجستير)، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص٥٣.

(٣) مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد١٩٣، ص١١.

(٤) محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية "دراسة حول المعنى وظلال المعنى"، الناشر جامعة الفاتح ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٩٣م، ص١٤٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أثناء عملية التواصل، ومن الشواهد التي أوردها ابن قتيبة تؤكد صحة ذلك قوله: "يقولون للمطر سماء؛ لأنه من السماء ينزل، فيقال: ما زلنا ننتظر السماء حتى أتيناكم لقول شاعرهم:

إذَا سَقَطَ السَمَاءُ بِأرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإنْ كَانُوا غِضَابَا[١]

وفي قوله-ﷺ-: ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[٢] ، بين أن استعمال الحطب في النميمة أمر شائع عن العرب، وهذا من قبيل فلان يحطب عليّ إذا أغرى به، وشبهوا النميمة بالحطب، والعداوة والشحناء بالنار؛ لأنهما يقعان بالنميمة كما تلتهب النار بالحطب، ويقال: نار الحقد لا تخبو، فاستعاروا الحطب في موضع التسمية، وفي قوله-ﷺ-: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ﴾[٣]، يقول: الذنوب الحظ وأصل الذنوب الدلو، فاستعير في موضع النصيب[٤].

فاللغة هنا أصبحت أداة للتبليغ والتواصل بين المخاطبين، ويساند هذا الرأي (ليتش) في قوله: "إن البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإن البلاغة والتداولية البراغماتية، تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي"[٥].

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٥٠.
(٢) سورة المسد، الآية٤.
(٣) سورة الذاريات، الآية٥٩.
(٤) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٥٠.
(٥) حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدرات مابعد الحداثة ، دار اليازوي العلمية، ٢٠١٣م، ص٦٦-٦٧.

فالاستعارة –إذن– في الاستعمال البلاغي عند ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) ذات بعد تداولي، وذلك في استعمالها وممارستها اللغة أثناء عملية التواصل؛ بقصد تبليغ رسالة واضحة، مراعية مقتضى الحال: أي "لكل مقام مقال".

من هنا يتضح التداخل بين الاستعارة والتداولية من خلال الاهتمام بالمتكلمين: (المخاطِب) و(المخاطَب)، ومقاصدهم والسياق الذي يرد فيه الحوار(الخطاب)، والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية[١].

(٤) الكناية و التداولية

لعل المتتبع لتاريخ البلاغة العربية من خلال حركة التأليف يجد أن مصطلح الكناية أخذ جهدا كبيرا من دراسي البلاغة في العصور القديمة، يقول القزويني عن الكناية: " لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه الأصلي"[٢]، وقد عبر عبد القاهر الجرجاني عن الكناية بقوله: "الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد": يريدون طول القامة، و"كثير رمادة القدر": يعنون كثير القِرى، وفي المرأة "نؤوم الضحى": والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال

(١) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١١.
(٢) القزويني، التلخيص، ص٣٣٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

النجاد، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر، وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى؟"(١) .

يرى ابن الأثير "حدّ الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حملة علي جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز ، والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء، وتريد غيره، يقال: كنيت بكذا عن كذا، فهي تدل على ما تكلمت به، وعلى ما أردته في غيره ... والكناية أن تتكلم بشيء، وتريد غيره ... "(٢).

ومن خلال تتبع الكناية من خلال كتاب (تأويل مشكل القرآن) نجد ابن قتيبة تطرق للكناية من خلال نظرية الإعجاز القرآني، فنجده يعرف الكناية بقوله: "وكلام العرب إيماء وإشارة وتشبيه، يقولون: فلان طويل النِجَادِ، والنِجَادُ حمائل السيف، وهو لم يتقلد سيفاً قط، وإنما يريدون أنه طويل القامة، فيدلون بطول النجاد على طوله؛ لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل، ويقولون فلان عظيم الرماد، ولا رماد في بيته، ولا على بابه، وإنما يريدون أنه كثير الضيافة، فناره وارية أبداً، وإذا كثر وقود النار كثر الرماد"(٣).

ابن قتيبة من هذا التعريف كان على دراية بالكناية، ومن تفسيراته لبعض الآيات القرآنية، كقوله قوله-ﷺ-: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ، ص٤٤.
(٢) انظر: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مج٢، ص١٨٢- ١٨٣.
(٣) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص١٦٣.

لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [١]. يقول ابن قتيبة: "دل بأكلهما الطعام على معنى الحدث؛ لأن من أكل الطعام فلا بد له من أن يُحدث"[٢]. وهذا التفسير من ابن قتيبة كان له تأييد من البلاغيين: أمثال المبرّد "وإن كان قد وضحه، ونص على وجود عنصر الكناية فيه. فقال في تفسير هذه الآية: "قال الله -ﷻ-في المسيح ابن مريم وأمه -عليهما السلام-: (كانا يأكلان الطعام)، إنما هو كناية عن قضاء الحاجة"[٣].

من هذا المنطلق نجد ابن قتيبة مهتما اهتماما كبيراً بظاهرة المقام في ربطه الصياغة بمقامها؛ لذلك أصبح لديه مقياس لمقام الكلام من القبول، أو الرفض، وذلك يرجعه إلى مناسبة هذا الكلام للمقام الذي ذُكر فيه، وهذا يعرف عند البلاغيين (بمقتضى الحال)، فالمقام "هو مقتضى الحال الذي يجعل المتكلم يخاطب سامعه بما يحتاجه، وحسب حاله، مع مراعاة الفائدة في الخطاب"[٤]؛ لذلك لا بد من محلل أي خطاب أن يأخذ بعين الاعتبار المقام الذي يظهر فيه الخطاب الذي يعد من معايير الدرس التداولي.

ومن الأمثلة التي ساقها ابن قتيبة عن الكناية وأنواعها ومواضعها اختياره مثالاً في الخوف ودلالاته، فهو يرى أن يكون الخوف من ذكر الاسم دافعا إلى استعمال أسلوب الكناية والالتجاء إلى الخفاء والمداجاة، وفي ذلك يقول ابن قتيبة: ومن الكناية في قوله قوله-ﷻ-: ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [٥] ، " ذهب هؤلاء وفريق من المتسمين بالمسلمين إلى أنه

(١) سورة المائدة، الآية٧٥.
(٢) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص١٦٤.
(٣) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة العربية، مطبعة الاستقامة،١٣٦٥هـ، ج٢، ص٦.
(٤) السكَاكي، مفتاح العلوم ، ص١٤٧.
(٥) سورة الفرقان، الآية ٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رجل بعينه، وقالوا: لم كنى عنه؟ وإنما يكنى هذه الكناية من يخاف المباداة ويحتاج إلى المداجاة"(١).وهذا فيه رد على المغالين والمعاندين والمؤولة لنصوص آي القرآن، وبه يريد نسج المعاني على وفق ما تقتضيه قاعدة المباني لمذاهب العرب في كلامهم؛ لكونها مجازات، وقد تأتي كلمة (فلان) للكناية؛ (دالة على التعظيم)، فقد يقول القائل: ما جاء بك إلا فلان بن فلان، يريد أشراف الناس من المعروفين"(٢).

نجد ابن قتيبة لم يقتصر في كلامه فقط على السياق الخارجي، بل اهتم بجعل الكلمات والتراكيب اللغوية لها دور في اختيار بعضها بعضا، و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام"(٣)، فالكلمات والجمل التي تكون ضمن السياق المقامي يجعلها خاضعة للأنظمة التداولية، "فربط العلامة في علامة مع علامات أخرى، قد تنتمي إلى أنظمة سيميائية مختلفة، فإنها تصبح ثرية بالمعاني وقابلة إلى أن تؤول"(٤)؛ لأن المقام يُحدث علاقة قوية بين الكلمات والتراكيب؛ لأن الكلام كلما طابق الحال كان أبلغ في العملية التواصلية.

وفي موضع آخر من كتاب ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن) تراه يضع الكناية تحت مصطلح الاستعارة: كقوله: "إن العرب تقول للنبات: نوء؛ لأنه يكون من النوء عندهم، ويقولون للمطر: سماء؛ لأنه من السماء يترك، فيقال ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم.

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٢٠٢.
(٢) نفس المصدر السابق ، ص٢٠٣.
(٣) أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص١٦٨.
(٤) أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي ، منشورات مركز الوحدة العربية، بيروت ص١٤.

ويقول الشاعر:

إذَا سَقَطَ السَمَاءُ بِأرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإنْ كَانُوا غِضَابَا[1]

من خلال هذا الشاهد الشعري يتطرق من ضمن نظريات في تفسير بعض نصوصه إلى المعنى العرفي في تحقيق العملية التواصلية؛ للوصول إلى درجة الفهم والإفهام في عملية الإقناع والتأثير وهذا يحظى بدرجة كبيرة من الاهتمام عند التداوليين المعاصرين، وتعرف عندهم "بنظرية الأفعال الكلامية" التي تعدّ من الركائز الأساسية التي يقوم عليها الدرس التداولي. لذلك نجد (جون أوسن) يجعل لها "مكانة كبيرة لدور اللغة وأفعالها الكلامية في صنع ونقل المعنيين من مستوى التلقي إلى مسارح الفعل والتجسيد وتتكسى هذه الأفعال قيمتها خاصة عندما يكون موجهو الخطاب من ذوي الكفاءات في المحاججة والإبانة."[٢] فالفعل الكلامي عبارة عن "الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة"[٣]. فأساس الفكرة في التداولية – إذن– قائمة على الإنجاز وذلك بمجرد التلفظ به بغرض إنتاج العملية التواصلية وإنجاحها.

خلاصة القول: بدت ملامح البحث التداولي في الكناية في الظهور من خلال اهتمامه بعناصر العملية التواصلية، وربطها بمقتضى الحال، وبالمتكلم وبيان دوره في عملية التبليغ، وبوضعية السامع وطريقة تلقيه للخطاب.

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٣٦-١٣٧.

(٢) أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة أوكيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م، ص. ٣٢٤

(٣) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص١٠-١١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث السادس: علم المعاني والتداولية

يعرفه السكاكي على النحو "هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"(١)، ويعرفه الخطيب القزويني بقوله: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"(٢). لكن ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) يتحدث عن علم المعاني في ضوء المجاز، وذلك في قوله: "وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة سنراها في أبواب المجاز إن شاء الله ... وبكل هذه المذاهب نزل القرآن ... "(٣).

فالمباحث المذكورة سلفاً من "الفصل والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة ينبغي أن تقتطع من مباحث معاني النحو؛ لتضاف إلى مباحث البيان في منهج البلاغة العربية، وفق نظرية المقاصد والدلالات تحت لواء المنهج المتكامل في استقراء مدونات التراث، ضف إليها أحوال الإسناد الخبري"(٤)، وأحوال المسند، والمسند إليه، ومتعلقات الفعل، والقصر،

(١) السكَاكي، مفتاح العلوم ، ص٢٤٧.
(٢) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص٥٢.
(٣) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٢١.
(٤) محمد حسين علي الصغير، الموسوعة الصغيرة، علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، ص١١٦-١١٧.

والإنشاء، فهي معانٍ أصلُ أصولها النحو، وللمزيد من معرفة حقيقة علم المعاني، وهذا التداخل الذى يجسد بين البلاغة والنحو ما نجده قد أفرد له الدكتور عبد القادر حسين فصلاً بتمامه في كتابه"(١).

في ضوء ما تقدم يتوفر في مباحث علم المعاني أبعاد البحث التداولي، إذ "إن علم المعاني يمثل مستوى لتمثيل البنية التداولية داخل النظرية اللغوية العامة"(٢)، وذلك بتحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال حتى أشتُهر عند البلاغين العرب المتأخرين تعريف علم المعاني بأنه "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"(٣)، فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هي عماد علم المعاني؛ لذلك نجد ابن قتيبة في مقولاته راعى وجوب تعريف علم المعاني بأنه "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"(٤). فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هي عماد علم المعاني فابن قتيبة يدعو لمراعاة هذا الجانب، وذلك في كثير من مقولاته في كتابه (تأويل مشكل القرآن) من خلال مراعاة مقامات القول، فيعطى لكل مقام مقالا؛ حتى يكون الكلام بليغاً مطابقاً لمقتضى الحال، وهذا من الجوانب التداولية التي تتلاقى مع علم المعاني، وذلك من خلال التأثير في الملتقى، وتحاول عمل الدهشة وتحريك الذهن وإعماله، ومن الشواهد

---

(١) انظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب ، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٦٨-٦٩.

(٢) محمد الدرويش ، علم المعاني – علم المقاصد التداولية، مجلة فكر – العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع١، ٢٠٠٥م، ص٨٩.

(٣) الخطيب القزويني، الإيضاح، ٥٢/١ .

(٤) فهذا التعريف نفسه تعريفهم لبلاغة الكلام، "فهي مطابقته لمقتضي الحال مع فصاحته"، انظر: الخطيب القزويني، الإيضاح، ٤١/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التي يذكرها في كتابه التي يدعو الخطيب أن يعتمد في صناعة كلامه، فيقول:

"فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاما في نكاح، أو حمالة، أو تحضيض، أو صلح أو ما أشبه ذلك، لم يأت به من واد واحد، بل يتفنن فيختصر تارة؛ إرادة التخفيف، ويطيل تارة؛ إرادة الإفهام، ويكرر تارة؛ إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين، ويشير إلى الشيء، ويكني عن الشيء، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحفل، وكثرة الحشد، وجلالة المقام، ثم لا يأتي بالكلام كله مهذباً كل التهذيب، ومصفى كل التصفية، بل تجده يمزج ويشوب؛ ليدل بالناقص على الوافر، وبالغث على السمين، ولو جعله كله نجرا واحدا لبخسه بهاءه، وسلبه ماءه، ومثل ذلك ... والسحاب ينظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقيان، ولا يجعل كله جنساً واحداً من الرفيع الثمين، ولا النفيس المصون"(١).

فابن قتيبة اهتم في كلامه بمراعاة أحوال المتلقين، وأن يكون أسلوب المتكلم له تأثير في كل سامع، وأن يصرح في القول إن استلزم المقام ذلك، وابن قتيبة وضح لنا أسس الخطابة، وشروط الخطيب مبيناً في الوقت نفسه فنون علم المعاني من أطناب، وتوكيد وغيرها، داعياً الإيجاز؛ لمراعاة المخاطبين، وغيرها من الأنساق التي يقتضيها لحال مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٠-١١.

فالمقاربة التداولية مع علم المعاني لما فيه من محاولة الربط بين البنية التركيبية للألفاظ وبين الهدف التواصلي التداولي الذي يسعى المتكلم؛ للوصول إليه، وهذا لا يتأتى في العبارات إلا بكونه نتيجة إستراتيجية ذات بعد تداولي واضح، وذلك من خلال ارتباط المتلقي ودرجة تفاعله مع الخطاب وطريقة استقباله للنص، وهذا كله عبارة عن قواعد تداولية جلية وواضحة في النص السابق لابن قتيبة.

لذلك جاءت مباحث علم المعاني متقاطعة مع أسس التداولية في بعض صورها، ولإثبات ذلك نأخذ نماذج من مباحث علم المعاني؛ لنرى إلى أي حد يكون هذا التقارب من خلال مدونة ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن.

(١) الالتفات:

يعقد ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) فصلاً أسماه (مخالفة ظاهر اللفظ معناه)"، والمقصود به (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، فذكر فيه بعض صور الالتفات، فقال: "ومنه أن تخاطب الشاهد لشيء، ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب: قوله-ﷻ-:﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ..... ﴾...[١]، ومقتضى الظاهر "بكم"، وذكر منه التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقيق الوقوع، فقال في قوله-ﷻ-:﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ..... ﴾... [٢]، يريد يوم القيامة؛ أي سيأتي قريباً فلا تستعجلوه،

(١) سورة يونس، الآية ٢٢.

(٢) سورة النحل، الآية ١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي قوله قوله–ﷺ–:﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ..... ﴾...[١]؛ أي فسوقه " " فذكر التعبير بالماضي عن المضارع لتحقق ابن قتيبة. ونلحظ أنه درس ظاهرة الالتفات في باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه)، ولم يسمِّ الالتفات باسمه؛ بسبب عدم نضج أغلب المصطلحات البلاغية عنده، وأيضاً لتوسيعه دائرة المجاز في كثير من قضاياه البلاغية.

ويوجد تلاق بين الالتفات عند ابن قتيبة والبحث التداولي؛ لأن التداولية تهتم بثلاث ركائز للاتصال التداولي التي لها دور فعال في التبادل الكلامي: وهي (المتكلم والمتلقي والمقام)، وهذه الركائز متوفرة في الالتفات عند ابن قتيبة؛ لأن الالتفات يعتمد على الانتقال من أسلوب إلى آخر، أو الانصراف عنه إلى سواه، وبذلك يخرج الكلام إلى قصدية المتكلم، ويحصل الإفادة للمتلقي، فالقصدية تعد "جوهر التداولية، فالفعل الكلامي نواة مركزية في التداولية، فحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي ودلالي وإنجازي وتأثيري ونحوي يتوسل أفعالاً قولية؛ لتحقيق أغراض إنجازية."[٢] ففعل الكلامي يقوم "على مفهوم القصدية التي يتحرى عنها عن طريق الربط بين التراكيب اللغوية، ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب، ولا يتحقق المقصد التداولي إلا عندما يتوفر لدى كل من المتكلم والمخاطب معطيات افتراضية معترف بها، ومتفق عليها بينهم يطلق عليها الافتراضات المسبقة أو المضمرات التداولية، وهي محتواه ضمن السياقات والتراكيب

(١) سورة فاطر، الآية ٩.

(٢) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص٤٠.

اللغوية"[١]. وبذلك تظهر القوة الإنجازية، وهذا يتفق مع ما ذكره (أوستن) بداية تأسيسه لنظرية أفعال الكلام بافتراضه قسماً جديداً سماه الأفعال الإنجازية[٢] .

من هنا يظهر البعد التداولي في الالتفات من خلال التأثير والتأثر، فالكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب آخر، يكون فيه إعمال لذهن المتلقي أفضل من الاعتماد على أسلوب واحد، "فالإتيان بإستراتيجية تنويعية واستثمارها في الخطاب من الأسباب المؤدية إلى تأثر السامع، حيث يختفي الضجر والملل عنده، ويأخذ به من نشاط إلى آخر، ومن وضع إلى وضع، مجدداً في أحوال تلقيه له"[٣].فالالتفات البلاغي ذو أبعاد تداولية، وذلك في ارتباطه الشديد بمجال "المتكلم والمتلقي والمقام" التي تنطوي تحت القاعدة البلاغية الشهيرة (مراعاة مقتضى الحال)، أو (لكل مقام مقال) هذه المقاربة والآليات للالتفات تندرج تحت التنظيرات التداولية المعاصرة، وهذا يؤكد أن البلاغيين العرب "مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته فلسفة وعلماً، رؤية واتجاها أمريكيا وأوروبيا، فقد وظف المنهج التداولي بوعيٍ في تحليل الظواهر والعلامات المتنوعة"[٤]

---

(١) جبر عبد الستار، محاولة في مقاربة تداولية قراءة في قصيدة (من أوراق أبي نواس) لأمل دنقل، مجلة أقلام، دار الشؤون الثقافية، العراق، العدد (٥)، ٢٠٠٨م، ص ٣٧.

(٢) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص٤٠

(٣) خليفة بو جادي، نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية مشروع لربط البلاغة بالإتصال ، الناشر جامع الأمام محمد بن سعود ، الرياض ، السعودية ، ص١٨٥.

(٤) محمد السويرتي، اللغة ودلالاتها، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، مجلد ٢٨، العدد٣، مارس٢٠٠٠، ص٣٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وذهب أحمد المتوكل إلى أن "الإنتاج اللغوي العربي القديم من (نحو، وبلاغة، وأصول، وتفسير) يؤول في مجموعة إلى المبادئ الوظيفية[١].ويرى الباحث أن مفهوم (مطابقة الكلام لمقتضى الحال): وهو أحد تعريفات المتأخرين للبلاغة-حاضر في ذهن ابن قتيبة في تناوله للقضايا البلاغية؛ لذلك نجده يوظِّف هذا اللون البلاغي وفق تلك القاعدة البلاغية، مما ساعد على خلق بعد تداولي للالتفات من خلال التنسيق اللفظي بين مكونات العبارة التداولية، واستخدامها في مكانها المناسب وهذا ما يسمى في الدرس التداولي بـ"التأثير الموقعي باعتباره أحد مظاهر تأثير المقام في صناعة الكلام" [٢] .

(٢) التقديم و التأخير

قال عنه سيبويه فيما نقله عنه الجرجاني: "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"[٣]. ويقول الدكتور عبد القادر حسين في هذا الشأن "وسيبويه في صدر كتابه يحدثنا عن التقديم والتأخير بكلام يعتبر هو العمدة وصاحب الريادة فيه، وربما كان أول من طرق سر هذا اللون البلاغي..."[٤].

(١) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص٣٠.
(٢) محمد محمد يوسف علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية "دراسة حول المعنى وظلال المعنى" ، ص ١٤٢ .
(٣) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص١٠٧ .
(٤) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص٨١.

ولقد تنبه العلماء المتقدمون إلى عرض "التقديم والتأخير"(١).أما السكاكي؛ فيقول :"والحالة المقتضية لذلك هو كون العناية بما يقوم أتم، وإيراده في الذكر أهم ، والعناية التامة يتقدم ما يقدم، والاهتمام بشأنه"(٢).

هذا ونبّه ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) عن "التقديم والتأخير" تحت اسم "باب المقلوب" فقال: هو الباب الذى عقده بعنوان "باب المقلوب"، فقال ومن المقلوب: أن يقدم ما يوضحه التأخير، ويؤخر ما يوضحه التقديم: كقوله-ﷻ-:﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾...(٣)، أيْ مخلف رسله وعده؛ لأن الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل، فتقول: أخلفت الوعد، وأخلفت الرسل(٤)، "فقدم المفعول الثاني على الأول؛ ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً، كقوله-ﷻ-:﴿ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾...(٥)، ثم قال رسله الذين هم خيرته(٦)"، وصفوته وكذلك قوله-ﷻ-: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾... (٧)، أيْ: تدلى فدنا؛ لأنه تدلى للدنو، ودنا بالتدلي(٨)، "وهو: أي التدلي استرسال مع تعلق بأمر الرسالة والتبليغ للرسول بواسطة

(١) محمد حسين الصغير، الموسوعة الصغيرة علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، دار الشؤون الثقافية، العراق، ١٩٨٩م، ص٦٨-٦٩.
(٢) السكاكي، مفتاح العلوم، ص٣٤٢.
(٣) سورة ابراهيم، الآية ٤٧.
(٤) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٤٨.
(٥) سورة الرعد، الآية ٣١.
(٦) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مج ١، ص٤٢٢.
(٧) سورة النجم ، الآية ٨.
(٨) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٤٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

جبريل –عليه السلام– ومنه قوله–ﷻ–:﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾...[١]، أي بل على الإنسان من نفسه بصيرة، يريد شهادة جوارحه عليه؛ لأنها منه فأقامها مقامها، ومما يؤكد ذلك قوله–ﷻ–:﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾...[٢] .

ويقول ابن قتيبة: ومن المقدم والمؤخر قوله–ﷻ–:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴾... [٣]، أراد: أنزل الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً[٤]. ثم يتابع في تدعيم ما ذهب إليه في باب المقلوب على أنه مسألة تقديم وتأخير، فيقول: ومنه قوله–ﷻ–:﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾... [٥].

فابن قتيبة في تناوله لهذه الظاهرة البلاغية التقديم والتأخير (باب المقلوب) ينطلق في جميع الأمثلة التي ساقها من القرآن الكريم من الفكرة الأساسية التي قام عليها مشروعه في قضية إعجاز القرآن الكريم، وذلك في اعتماده على مراعاة الجانب المقامي، فتقديم بعض الكلمات وتأخيرها يدخل تحت الجانب التأثيري التداولي، فهو من مظاهر تأثير المقام على صناعة الكلام، وهذا التقديم والتأخير يدعم الخطاب الناجح والمقبول لدى المتلقي؛ لأن أساس هذا اللون البلاغي قيامه على فكرة التوافق المقامي التي تندرج تحت القاعدة البلاغية العامة "مراعاة مقتضى الحال".

---

(١) سورة القيامة ، الآية ١٤.
(٢) سورة النور ، الآية ٢٤.
(٣) سورة الكهف ، الآية ١.
(٤) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٥٨.
(٥) سورة هود ، الآية ٧١.

وأيضا نجد ابن قتيبة يدلل لهذا الفن البلاغي من أشعار العرب قديماً في كتابه "تأويل مشكل القرآن" كقول الشاعر:

تَرَى الثَّورِي فِيهَا مُدْخَلَ الظّلِ رأْسُه وسَائرهُ بادٍ إلى الشّمْسِ أَجْمَعُ

فأراد مدخل رأسه الظل التبس برأسه، فصار كل واحد منهما داخلا في صاحبه يقول رؤية العجاج:

ومَهْمَهُ مُبَعْبَرةُ أَرْجَاؤُه كَانَ لَونَ أَرْضِه سَمَاؤُهُ

وكان الوجه أن يقول: كأن لون سمائه من غيرتها لونه أرضه، فقلب؛ لأن اللونين هنا سوياً[١]. هنا استخدم الشاعر ظاهرة التقديم والتأخير (باب المقلوب) بطريقة مرنة فعالة مع فعل التخاطب الذي اتسم بالديناميكية، إن هذا الاستخدام السليم والفعّال للألفاظ يؤدي إلى تعميق القدرة التعبيرية عن المعنى المقصود، وهذا ما ظهر في هذا المثال الذي استخدمه ابن قتيبة؛ للتدليل على فعّالية التقديم والتأخير، وكشفه عن إستراتيجية تداولية.

لذلك يعد باب التقديم والتأخير (باب المقلوب) عند ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" وما يتضمنه هذا الباب من تناول من ابن قتيبة، وتحديده لصوره وأنماطه يؤكد لنا "وروده في إفرازات دلالية أخرى تنقل المعنى (المقصد) من مستوى إلى مستوى آخر"[٢]؛ لذلك يؤكد التداوليون أن مسألة ترتيب الكلمات في التركيب اللغوي دور طلائعي في تحديد مدى قوة (القوة الإنجازية) هذه الصياغات"[٣].

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٤٨-١٥١.

(٢) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٣٣١.

(٣) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٤٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(٣) الإيجاز

ابن قتيبة يتحدث عنه بقوله: "فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاما في نكاح، أو حمالة، أو تحضيض...لم يأت به من واد واحد، بل يتفنن فيختصر تارة؛ إرادة التخفيف، ويطيل تارة؛ إرادة الإفهام، ويكرر تارة؛ إرادة التوكيد...وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال"(١).

فابن قتيبة لم يسمِّ الإيجاز باسمه، حاله حال بقية الصورة البلاغية عنده، بل اكتفى بالعلاقة التضمينية، وذلك من باب التخفيف على المتلقي، أو لضرورة ضيق المقام، ونجد ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) يعرف المجاز بقوله: "وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه، وهذا معنى قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– أوتيت جوامع الكلم"(٢).و هنا يراعي ابن قتيبة ضرورة مراعاة المقام التخاطبي وحال المتلقي ومنزلته الذي له دور كبير ورئيس في إنتاج الخطاب، وتناول فيه ابن قتيبة قضية (الإيجاز) مراعيا فكرة (مطابقة الكلام مقتضى الحال)؛ ليثبت الصلات الوثيقة التي تربط هذا الأسلوب البلاغي بالنظرية التداولية في ربط الغرض البلاغي والمقام المؤطر للعملية التواصلية.

فالقاعدة التداولية الإيجاز عند ابن قتيبة قائمة على تقليل " اللفظ وتكثير المعنى وهذا يعني أننا نضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها شريطة أن تفي بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح "(٣).

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) محمد ملياني ، ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة (رسالة دكتوراة) ،معهد اللغة العربية وأدابها ، جامعة أحمد بن بلة / السانيا سابق ، وهران ، ٢٠٠٤م. ص ٢٦.

ويذكر ابن قتيبة على ذلك بعض الشواهد التوضيحية كقوله–ﷺ–:﴿: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾...(١)، والمعنى: فيقال لهم أكفرتم؟ زمنه كقوله–ﷺ–:﴿: رَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾...(٢)،أي: ووصى بالوالدين، وقوله –ﷺ–:﴿: وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۞... إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣) ، ففي الأسلوب الايجاز وتقدير محله: إني لا يخاف لدي المرسلون، بل غيرهم الذي يخاف إلا من ظلم ثم تاب فإنه لا يخاف، فالمستثنى منه محذوف لأن الرسل –عليهم السلام– لا يوصفون بالظلم؛ لأنهم صفوة الخلق، اجتباهم الله؛ لتبليغ الرسالة، وهذا ما قدم له ابن قتيبة من حسن القول، وصفوة البيان، فيقول: "ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارهم وجده كثيرا. قال الشنفرى:

فلا تدفنوني إن دفني محرم عليكم ولكن خامري أم عامر

والمعنى: لا تدفنوني، ولكن دعوني للتي يقال لها إذا صيدت "خامري أم عامر" يعني الضبع؛ لتأكلني (٤). فنستشف من تحليل ابن قتيبة للإيجاز في الشواهد السابقة أسس الدرس التداولي من خلال البعد التأثيري الذي يلقي بدوره على المتلقي، ويؤثر فيه عبر الاستعمال البلاغي للإيجاز داخل الخطاب المعني، وهذا الاستعمال المعبر عنه جاء واضحا خاليا من الغموض،

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٦.
(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٣.
(٣) سورة النمل، الآية ١٠-١١.
(٤) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص١٧١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وخادما للقصدية في نطاق الفعل الكلامي الموجه للمتلقي، وهذا يندرج تحت "الدرس التداولي المعاصر في مضمار الاستلزام الحواري، وبالضبط في مسلمة الجهة ***Modulate*** التي توحي بالابتعاد عن اللبس والغموض واستعمال الإيجاز" [(١)]؛ لذلك أي صياغة لغوية يمكن للمتلقي إكمالها بالاعتماد على "ما يرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال"؛ لذلك يعدّ الايجاز عند ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) من الأساليب البلاغية ذات الطابع النفعي التي تدخل تحت إستراتيجية الاقتصاد اللغوي التداولي[(٢)].

وملخص القول: ابن قتيبة من خلال كتابه (تأويل مشكل القرآن) استطاع إثراء القضايا البلاغية تداوليا باعتماده على أغراض إنجازية بحكم أنه أقام تصنيفه على بيان إعجاز القرآن على أسس تداولية تواصلية قائمة على (المتكلم، والمتلقي، والمقام)، فكانت تخريجاته فنية ذات فوائد تواصلية قائمة على تحقيق الفهم والإفهام مع مراعاة طبقات المتلقين ووضعياتهم ومستوياتهم المختلفة وفق القاعد البلاغية التداولية (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) و(لكل مقام مقال).

---

(١) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص٣٣-٣٤

(٢) محمد حسنين أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، منشورات جامعة قاريونس ، ط١ ، مصر ، ١٩٧٩، ص١٢٣.

الخاتمة:

و في نهاية هذه المحاورة البحثية يمكن التأكيد على ما يأتي:

١- حضر الاشتغال التداولي في كتاب "تأويل مشكل القرآن" بشكل واضح وجلي من خلال فكرة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) و(لكل مقام مقال).

٢- تبين حضور فكرة المقام عند ابن قتيبة في المباحث البلاغية، فهي في ذهنه وتصوره، وهذا ما تشترك فيه التداولية؛ لإنجاح العملية التخاطبية.

٣- إفادة التداولية من الأساليب الإجرائية للبلاغة العربية في تناول النص ومراعاة المخاطب.

٤- التقاطع المعرفي بين البلاغة والتداولية في طرائق تأدية المعنى وفق ما يقتضيه السياق المقامي.

٥- رغم حداثة التداولية إلا أن ذلك لا يعدم حضورها في البلاغة العربية التي تهتم بمكونات النص وإنتاج المعنى، وعلاقتها بقائله وبالمتلقي والسياق المحيط بعملية الخطاب.

٦- أدرك الباحث وجود مساحة معرفية قائمة على أبعاد تداولية واضحة في إطار تناول الحدث الكلامي، ومنتج هذا الخطاب والمتلقي لهذا الخطاب من خلال سياق هذا الإنتاج.

٧- إن الموروث البلاغي اهتم بالظاهرة اللغوية وبيان الأدوار التي تقوم بها من خلال صياغة خطاب، يتسم بالحسن من قبل المتكلم، وفى

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اختياره خطابا يناسب حال المتلقي وظروفه ومستواه من خلال انتقاء ألفاظ وعبارات استراتيجية مناسبة له.

٨- إن البلاغة العربية بمختلف مباحثها تتلاقى مع التداولية وآلياتها من خلال دراسة طرائق الكلام، وذلك وفق القاعدة (مطابقة الكلام لمقتضي الحال)، وذلك بفضل العناية من البلاغة/التداولية بالجانب الجمالي للألفاظ؛ بهدف تحريك الذهن والتأثير في النفس.

٩- أكد ابن قتيبة من خلال مدونته أهمية علم المعاني ومباحثه في العناية بقصدية المتكلم، وذلك من خلال النقل للمعاني إلى المخاطب وفق تناسق حسن إلى ذهن السامع.

١٠- تتضح الملامح التداولية من مباحث علم البيان من خلال مقاصد المتلقي التي لا يجسدها الوضع الحقيقي للغة، بل لا بد من مراعاة السياق التعبيري لمقاصد المتكلم.

١١- السياق في البحث التداولي والدرس البلاغي يعدّ من الدلالات الأساسية التي تقوم بالكشف عن أغراض المتكلمين وغاياتهم.

والله الموفق.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. ابن الأثير(ضياء الدين، نصر الله بن محمد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نشر دار النهضة، ط٢، ١٩٧٣ م.
٢. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٥م .
٣. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثل الدلالي التداولي، الأمان، الرباط، المغرب، ١٩٩٥م .
٤. أحمد أمين، ضحى الإسلام، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة.
٥. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النحو العربي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة .
٦. إدريس مقبول، الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية، عالم الكتب الحديث ، ط١، ٢٠١١.
٧. أسامة محمد البحيري، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية، الندوة الدولية للبلاغة العربية " الدراسات البلاغية الواقع والمأمول " في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية .
٨. أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة د.أحمد الصمعي ، منشورات مركز الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان.
٩. آن روبول جاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، ترجمة سيف الدين ذغفور، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، ط٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٠. أوزولد ديكرو، وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان(طبعة منقحة)، ترجمة منذر عياشي، ط٢، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٧م.
١١. البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي)، تاريخ بغداد، مصر ، ١٩٣١م.
١٢. ابن تغرى بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، مصر، ١٩٣٢م.
١٣. تمام حسان، اللغة معناها ومبناها، دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٩٤م .
١٤. مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
١٥. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب)، البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٤، ١٩٧٥م.
١٦. جبر عبد الستار، محاولة في مقاربة تداولية قراءة في قصيدة (من أوراق أبي نواس) لأمل دنقل، مجلة أقلام، دار الشؤون الثقافية، العراق، العدد (٥)، ٢٠٠٨م.
١٧. الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، مصر، ٢٠٠٠م .
١٨. ــ، أسرار البلاغة، تحقيق عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.د.ت.
١٩. الجرجاني (الشريف علي بن محمد)، التعريفات، دار الكتب العلمية، طهران، ١٣٠٦هـ.
٢٠. جمال الحضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان.

٢١. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، دط٢٠٠٨م .
٢٢. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط٤، ٢٠١٠م.
٢٣. جون أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة أو كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.
٢٤. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، مراجعة، د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٥. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع –في اللسانيات التداولية – ترجمة سعيد الغانمي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٦. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٢
٢٧. حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم المكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.
٢٨. حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدرات مابعد الحداثة ، دار اليازوي العلمية ، ٢٠١٣م.
٢٩. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.
٣٠. ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.د.ت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣١. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة العلمية، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.
٣٢. خيرة مسلم، شعرية النثر عند تودوروف، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٨م.
٣٣. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م.
٣٤. ابن رشيق (أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨١م .
٣٥. الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق، محمد خلف الله أحمد وزغلول سلام، طبعة دار المعارف ، ص٩٨.
٣٦. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، مطبعة دار الكتب، مصر، ١٩٧٣م.
٣٧. الزمخشري (محمود بن عمر)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السنود ، دار الكتاب العالمية ، بيروت، لبنان، ط١، د.ت.
٣٨. الزواوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس٢٠٠٧م، العدد٣، المجلد٣٥.
٣٩. سعد الدين التفتازاني، شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، مج٤.

٤٠. سعيد بحيري، علم لغة النص مفاهيم واتجاهات، دار نوبار للطباعة، القاهرة،ط١ ، ١٩٩٧م.
٤١. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي) ،مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .
٤٢. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
٤٣. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٤م.
٤٤. شكري الطوانسي: (المقام في البلاغة العربية: دراسة تداولية) مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع١، مج٤٢، يونيو/سبتمبر٢٠١٣م.
٤٥. صابر الحباشة ، مدخل إلي الأبعاد التداولية في قراءة الشروح البلاغية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج٢٥، ع١٠٠، ٢٠٠٧م.
٤٦. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، ٢٠٠٦م .
٤٧. الطاهر لوصيف، "مقال عن التداولية اللسانية"، مجلة اللغة والأدب، ملتقي علم النص العدد ١٧ ، ٢٠٠٦، جامعة الجزائر .
٤٨. طه عبد الرحمن، اللسانيات والمنطق والفلسفة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع٢،المغرب ، ١٩٨٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٤٩. أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٢م.
٥٠. تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب. ط٤، ٢٠١٢م.
٥١. عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب ، ١٩٩٨م.
٥٢. عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية والدوائر الثلاثية البلاغية، دار الصفا للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
٥٣. عبد اللطيف عادل، خطاب المناظرة في التراث العربي والإسلامي، مقاربة لآليات بلاغة الإقناع (رسالة دكتوراه)،. قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض ، مراكش ، المغرب .
٥٤. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
٥٥. العسكري (أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل) ، الصناعتين، مطبعة مصر، ١٩٥٢م.
٥٦. عنترة، ديوانه،اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م.
٥٧. ابن فارس (أحمد بن زكريا)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط ، ١٩٧٩.
٥٨. فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ترجمة عبدالقادر قنيني ، الناشر أفريقيا الشرق،٢٠٠٠م .

٥٩. فرانسواز آرمنيكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ١٩٨٦م
٦٠. ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٨.
٦١. تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة ، مصر، ١٩٨١.
٦٢. تأويل مختلف الحديث، تحقيق سليم عيد الهلالي ، الناشر دار ابن عفان، ٢٠٠٦م.
٦٣. القرطاجني (أبو الحسن حازم)، مناهج البلغاء وسراج الأدباء، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
٦٤. القزويني (محمد بن عبد الرحمن) ،التلخيص، ضبط: عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٠٤م.
٦٥. الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م،
٦٦. القفطي (علي بن يوسف)، إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦م.
٦٧. المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة العربية، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٥هـ.
٦٨. المثقب العبدي، ديوانه ، دار صادر ، بيروت، د.ت.
٦٩. محمد أديوان، ونظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلسمان، العدد الأول، جانفي١٩٩٤،جامعة الرباط، كلية الآداب.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٧٠. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية ناشرون، د.ت .
٧١. محمد الدرويش، علم المعاني– علم المقاصد التداولية، مجلة فكر – العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع١، ٢٠٠٥م.
٧٢. محمد السويرتي، اللغة ودلالاتها، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد٢٨، العدد٣، مارس٢٠٠٠.
٧٣. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م.
٧٤. نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠١٤م.
٧٥. محمد حسنين أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، منشورات جامعة قاريونس ، ط١ ، مصر ، ١٩٧٩.
٧٦. محمد حسين الصغير، الموسوعة الصغيرة علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، دار الشؤون الثقافية، العراق، ١٩٨٩م.
٧٧. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٤م.
٧٨. محمد فكري الجزار، البلاغة والسرد، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م.
٧٩. محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية "دراسة حول المعنى وظلال المعنى"، الناشر جامعة الفاتح ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٩٣م.

٨٠. محمد مريسي الحارثي، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الملك عبد العزيز بجدة،١٣٩٦هـ.
٨١. محمد ملياني ، ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة (رسالة دكتوراه) ،معهد اللغة العربية وأدابها ، جامعة أحمد بن بلة / السانيا سابق ، وهران ، ٢٠٠٤م. ص ٢٦.
٨٢. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
٨٣. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط١، دار التنوير.
٨٤. مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد١٩٣.
٨٥. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،٢٠١٤م.
٨٦. ابن النديم (محمد بن إسحاق بن يعقوب)، الفهرست، القاهرة ، ١٩٣١م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــوع	الصفحة
١.	ملخص	٤٣٠٥
٢.	Abstract	٤٣٠٦
٣.	مقدمة	٤٣٠٧
٤.	المبحث الأول: التداولية لغة واصطلاحاً.	٤٣٠٩
٥.	المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف والمدونـــة.	٤٣١٧
٦.	المبحث الثالث: البلاغـة والتداوليـة.	٤٣٢٦
٧.	المبحث الرابع: التداولية في كتاب "تأويل مشكل القرآن".	٤٣٣٥
٨.	المبحث الخامس: علم البيان والتداوليـــة.	٤٣٤٠
٩.	المبحث السادس: علم المعاني والتداوليـــة.	٤٣٥٨
١٠.	الخاتمة:	٤٣٧١
١١.	المصادر والمراجع	٤٣٧٣
١٢.	فهرس الموضوعات	٤٣٨٢

تم بحمد الله